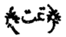
صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه



مكاشفة القلوب

المقرب الى حضرة علام الغيوب
المختصر من مكاشفة القلوب الاكبر المنسوب
للامام العلامة العارف الشيخ
الغزالى رحمه الله تعالى
ونفعنا ببركاته
آمين



الحمد لله الذى أحسن تدبير الكائنات وخلق الارضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وأثاب على الاعمال الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذى المعجزات الظاهرات الذى حصل من نوره وجود الكائنات (وبعد) فهذا كتاب اختصرته من الكتاب البديع حسن الصنيع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب المنسوب الى الشيخ الغزالى وقد سميته كأصله بمكاشفة القلوب وأعوذ بالله من الشرك والذنوب واقتصرت فيه على مائة واحد عشر باب ليحفظ ما فيه أولو العلم والالباب

(الباب الاول) فى الخوف (الباب الثانى) فى الخوف من الله تعالى أيضا (الباب الثالث) فى الصبر والمرض (الباب الرابع) فى الرياضة والشهوة النفسانية (الباب الخامس) فى غلبة النفس وعداوة الشيطان (الباب السادس) فى الغفلة (الباب السابع) فى نسيان الله والفسق والنفاق (الباب الثامن) فى التوبة (الباب التاسع) فى المحبة (الباب العاشر) فى ذكر العشق (الباب الحادى عشر) فى طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم (الباب الثانى عشر) فى ذكر ابليس وعذابه (الباب الثالث عشر) فى ذكر الامانة (الباب الرابع عشر) فى الصلاه بالخضوع والخشوع (الباب الخامس عشر) فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (الباب السادس عشر) فى عداوة الشيطان (الباب السابع عشر) فى الامانة والتوبة (الباب الثامن عشر) فى فضل الترحم (الباب التاسع عشر) فى الخشوع فى الصلاة (الباب العشرون) فى الغيبة والنميمة

﴿الباب الاول في بيان الخوف﴾

جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق ملكا له جناح في المشرق وجناح في المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الارض السابعة وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش فاذا صلى رجل أو امرأة من أمتي على أمره الله تعالى بان ينغمس في بحر من نور تحت العرش فينغمس فيه ثم يخرج وينفض جناحه فيقطر من كل ريشة قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يستغفر له الى يوم القيامة * قال بعض الحكماء سلامة الجسد في قلة الطعام وسلامة الروح في قلة الآثام وسلامة الدين في الصلاة على خير الانام * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله يعني اخشوا الله وأطيعوه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعني عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون من الخير والشر فان الملائكة والسماء والارض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى ان جوارحه تشهد عليه والارض تشهد للمؤمن والزاهد فتقول صلى علي وصام وحج وجاهد فيفرح المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والعاصي فتقول أشرك علي وزنى وشرب الخمر وأكل الحرام فياويله ان ناقشه في الحساب أرحم الراحمين * المؤمن هو الذي

يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيه أبو الليث علامة خوف الله تعالى تظهر فى سبعة أشياء أولها لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم والثانى قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الاخوان لان الحسد يمحو الحسنات كما قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واعلم ان الحسد من الامراض العظيمة فى القلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والثالث نظره فلا ينظر الى الحرام من الاكل والشرب والكسوة وغيرها ولا الى الدنيا بالرغبة بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر الى مالا يحل له كما قال صلى الله عليه وسلم من ملأ عينه من الحرام ملأ الله تعالى يوم القيامة عينه من النار والرابع بطنه فلا يدخل بطنه حراما فانه اثم كبير كما قال صلى الله عليه وسلم اذا وقعت لقمة من الحرام فى بطن ابن آدم لعنه كل ملك فى الارض والسماء ما دامت تلك اللقمة فى بطنه وان مات على تلك الحالة فمأواه جهنم والخامس يده فلا يمد يده الى الحرام بل يمدها الى ما فيه طاعة الله تعالى وروى عن كعب الاحبار انه قال ان الله تعالى خلق دارا من زبرجدة خضراء فيها سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت لا ينزلها الا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى والسادس قدمه فلا يمشى فى معصية الله بل يمشى فى طاعته ورضاه والى صحبة العلماء والصلحاء والسابع طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرياء والنفاق فاذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالى فى حقهم والآخرة عند ربك للمتقين وقال فى آية أخرى ان المتقين فى جنات وعيون وقال الله تعالى ان المتقين فى جنات ونعيم وقال الله تعالى ان المتقين فى مقام أمين كأنه تعالى يقول انهم ينجون يوم القيامة من النار وينبغى للمؤمن ان يكون بين الخوف والرجاء فيرجو رحمة الله ولا ييأس منها كما قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ويعبد الله ويرجع عن أفعاله القبيحة ويتوب الى الله تعالى ﴿حكاية﴾ بينما داود عليه السلام جالس فى صومعته يتلو الزبور اذ رأى دودة حمراء فى التراب فقال فى نفسه ما أراد الله فى هذه الدودة فأذن الله للدودة حتى تكلمت فقالت يا نبى الله أما نهارى فألهمنى ربى ان أقول فى كل يوم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ألف مرة وأما ليلى فألهمنى ربى ان أقول فى كل ليلة اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة فأنت ما تقول حتى أستفيد منك فندم داود عليه السلام على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى تاب اليه وتوكل عليه (وكان) ابراهيم الخليل صلوات الله عليه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فأرسل الله اليه جبريل فأتاه فقال له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فقال يا جبريل اذا ذكرت خطيئتى وفكرت فى عقوبته نسيت خلتى فهذه أحوال الانبياء والاولياء والصالحين والزاهدين فتأمل

﴿الباب الثانى فى الخوف من الله تعالى أيضا﴾

قال أبو الليث رحمه الله تعالى ان لله ملائكة فى السماء السابعة سجدا منذ خلقهم الله تعالى الى يوم القيامة ترتعد فرائصهم من مخافة الله تعالى واذا كان يوم القيامة رفعوا رؤسهم فقالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وذلك قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون يعنى لا يعصون الله تعالى طرفة عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة ورقها [illegible] ﴿حكاية﴾ ان رجلا تعلق بامرأة فخرجت تلك المرأة الى حاجتها فذهب

الرجل معها فلما خلا بها فى البادية ونام الناس أفشى الرجل سره اليها فقالت له المرأة انظر أنام الناس بأجمعهم ففرح الرجل بقولها وظن انها قد أجابته فقام وطاف حول القافلة فاذا الناس نيام فرجع اليها وقال لها نعم هم نيام فقالت ما تقول فى الله تعالى أنائم فى هذه الساعة فقال الرجل ان الله تعالى لا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم فقالت المرأة ان الذى لم ينم ولا ينام يرانا وان كان الناس لا يروننا فذلك أولى ان يخاف منه فتركها الرجل خوفا من الخالق وتاب ورجع الى وطنه فلما توفى رأوه فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى بخوفى وتركى ذلك الذنب ﴿حكاية﴾ كان فى بنى اسرائيل رجل عابد ذو عيال وأصابته المجاعة وصار مضطرا فبعث امرأته لتطلب شيأ لعيالها فجاءت الى بيت رجل تاجر وطلبت منه ما تقوت به عيالها فقال الرجل نعم ولكن مكنينى من نفسك فسكتت المرأة وعادت الى بيتها فنظرت الى عيالها يصيحون ويقولون يا أمى نحن نموت من الجوع أعطينا ما نأكله فذهبت الى الرجل وكلمته فى أمر عيالها فقال لها أتكون حاجتى مقضية فقالت نعم فلما خلا بها ارتعدت مفاصلها حتى كادت أعضاؤها تزول عن مواضعها فقال لها مالك فقالت انى أخاف الله فقال الرجل انك تخافين الله تعالى مع ما بك من الفقر فأنا أحق بالخوف منك وامتنع عنها وقضى حاجتها وانصرفت بنعمة كثيرة الى أولادها ففرحوا فأوحى الله الى موسى عليه السلام أن قل لفلان بن فلان انى قد غفرت ذنوبه فجاء موسى عليه السلام فقال لعلك قد فعلت خيرا بينك وبين الله فذكر القصة عليه فقال ان الله تعالى قد غفر لك ما كان من ذنوبك كذا فى مجمع اللطائف وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أمنين من خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة ومن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وقال الله تعالى فلا تخشوا الناس واخشونى وقال فى آية أخرى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وكان عمر رضى الله عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وأخذ يوما تبنة فقال ياليتنى كنت تبنة ولم أك شيأ مذكورا ياليتنى لم تلدنى أمى ويبكى كثيرا حتى تجرى دموعه من عينيه فكان فى وجهه خطان أسودان من الدموع وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع (وفى رقائق الاخبار) يؤتى بعبد يوم القيامة فترجح سيآته فيؤمر به الى النار فتتكلم شعرة من شعرات عينيه وتقول يارب رسولك محمد صلى الله عليه وسلم قال من بكى من خشية الله حرم الله تلك العين على النار وانى بكيت من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شعرة واحدة كانت تبكى من خشية الله فى الدنيا وينادى جبريل عليه السلام نجا فلان بن فلان بشعرة واحدة وفى بداية الهداية اذا كان يوم القيامة يجىء بجهنم تزفر زفرة فتجثو كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية أى على الركب كل أمة تدعى الى كتابها فاذا أتوا النار سمعوا لها تغيظا وزفيرا تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة عام وكل واحد حتى الانبياء يقول نفسى نفسى الا صفى الانبياء صلى الله عليه وسلم فانه يقول أمتى أمتى وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتجتهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى دفعها وتقول يانار بحق المصلين وبحق المصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعى فلا ترجع وينادى جبريل عليه السلام ان النار قد قصدت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يأتى بقدح من ماء فيناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول يارسول الله خذ هذا فرشه عليها فيرشه عليها فتطفأ فى الحال فيقول صلى الله عليه وسلم ما هذا الماء فيقول جبريل عليه السلام هذا ماء دموع العصاة من أمتك الذين بكوا من خشية الله تعالى فالآن أمرت ان أعطيكه لترشه على النار فطفئت النار باذن الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ارزقنى عينين

فبكيان من خشيتك قبل ان يكون الدمع

أعيني هلا تبكيان على ذنبي * تناثر عمري من يدي ولا أدري

وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم مامن عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبدا (حكى) عن محمد بن المنذر رحمه الله تعالى انه كان اذا بكى يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني ان النار لا تأكل موضعا مسته الدموع فينبغي للمؤمن ان يخاف من عذاب الله وينهى نفسه عن الشهوات النفسانية كما قال الله تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومن أراد ان ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته فليصبر على شدائد الدنيا وطاعة الله ويجتنب المعاصي (وفي زهر الرياض) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة تتلقاهم الملائكة بكل خير ونعمة فتوضع لهم المنابر وتفرش ويؤتى لهم بألوان الاطعمة والفواكه ثم تكون فيهم مع هذه النعمة حيرة فيقول الله ياعبادي ماهذه الحيرة وليست هذه دار حيرة فيقولون ان لناموعدا قد جاء وقته فيقول الله تعالى للملائكة ارفعوا الحجب عن الوجوه فتقول الملائكة ياربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة فيقول الله تعالى ارفعوا الحجب فانهم كانوا ذاكرين ساجدين باكين في الدنيا طمعا في لقائي فترفع الحجب فينظرون فيخرجون سجدا لله عز وجل فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فان هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة فيتجلى لهم بلا كيف ويقول لهم انبساطا سلام عليكم عبادي فقد رضيت عنكم فهل رضيتم عني فيقولون ومالنا يا ربنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم

﴿الباب الثالث في الصبر والمرض﴾

من أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته ويدخل جنته فليمنع نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائدها ومصائبها كما قال الله تعالى والله يحب الصابرين والصبر على أوجه صبر على طاعة الله وصبر عن محارمه وصبر على المصيبة وعند الصدمة الاولى فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة في الجنة كل درجة مابين السماء والارض ومن صبر عن محارم الله أعطاه الله يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل مابين السماء السابعة والارض السابعة ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة تسعمائة درجة في الجنة كل درجة مابين العرش الى الثرى (حكى) ان زكريا عليه السلام هرب من اليهود فقفوا أثره فلما دنوا منه رأى شجرة فقال لها ياشجرة أدخليني فيك فانشقت الشجرة فدخل فيها ثم التامت عليه فأشار عليهم ابليس أن يأتوا بالمنشار ويشقوها نصفين حتى يموت فيها ففعلوا كما قال ابليس وذلك حيث اعتصم بالشجرة ولم يعتصم بالله فأورثه ذلك هلاك نفسه فنشر بالمنشار على فرقين كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى مامن عبد نزلت به بلية فاعتصم بي الا أعطيته قبل ان يسألني واستجبت له قبل أن يدعوني ومامن عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني الا أغلقت أبواب السماء عليه فلما بلغ المنشار الى دماغه صاح فقيل له يازكريا ان الله يقول لك لم لا تصبر للبلاء تقول آه لوقلتها مرة ثانية لاخرجناك من ديوان الانبياء فعض زكريا شفتيه وصبر حتى شقوه نصفين فيجب على العاقل ان يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من عذاب الدنيا والآخرة لان أشد البلاء على

الانبياء والاولياء قال الجنيد البغدادي رحمه الله البلاء سراج العارفين ويقظة المريدين وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى يأتيه البلاء ويرضى ويصبر قال صلى الله عليه وسلم من مرض ليلة فصبر ورضي عن الله تعالى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا مرضتم فلا تتمنوا العافية قال الضحاك من لم يبتل بين كل أربعين ليلة ببلية أو هم أو مصيبة فليس له عند الله خير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال اذا ابتلى الله العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين أكتب لعبدي أحسن ما كان يعمل وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين فقال انظرا ما يقول عبدي فان هو قال الحمد لله رفع ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدي علي ان أنا توفيته ان أدخله الجنة وان أنا شفيته ان أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان أكفر عنه سيآته (حكي) أنه كان في بني اسرائيل رجل فاسق وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج أهل بلده وعجزوا عن منعه عن فسقه فتضرعوا الى الله تعالى فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان في بني اسرائيل شابا فاسقا فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه فجاء موسى عليه السلام فأخرجه فذهب الشاب الى قرية من القرى فأمر الله موسى ان يخرجه من تلك القرية فأخرجه موسى عليه السلام فخرج الى مفازة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طيور فمرض في تلك المفازة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال لو كانت والدتي عند رأسي لرحمتني ولبكت على مذلتي ولو كان والدي حاضرا لاعانني وتولى أمري ولو كانت زوجتي حاضرة لبكت على فراقي ولو كان أولادي حاضرين عندي لبكوا خلف جنازتي ولقالوا اللهم اغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصي الفاسق المطرود من بلده الى قرية ومن القرية الى مفازة ومن المفازة يخرج من الدنيا الى الآخرة آيسا من كل الاشياء اللهم قطعتني عن والدي وأولادي وزوجتي فلا تقطعني من رحمتك فانك أحرقت قلبي بفراقهم فلا تحرقني بنارك لاجل معصيتي فأرسل الله تعالى له حوراء على صفة أمه وحوراء على صفة زوجته وغلمانا على صفة أولاده وملكا على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال ان هذا والدي ووالدتي وزوجتي وأولادي حضروا عندي وطاب قلبه ووصل الى رحمة الله تعالى طاهرا مغفورا له فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذهب الى مفازة كذا وموضع كذا فانه مات فيه ولي من الاولياء فأحضره وتول أمره ووراه فلما حضر موسى عليه السلام ذلك الموضع رأى الشاب الذي كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأى الحور العين حواليه فقال موسى عليه السلام يارب أما هذا الشاب الذي أخرجته من البلد ومن القرية بأمرك فقال الله تعالى ياموسى اني رحمته وتجاوزت عنه بأنينه في موضعه وفراقه وطنه ووالدته وولده وأولاده وزوجته وأرسلت اليه حوراء على صفة والدته وملكا على صفة والده وحوراء على صفة زوجته يترحمن على مذلته في غربته فانه اذا مات الغريب بكى عليه أهل السموات وأهل الارض رحمة له فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين * اذا وقع الغريب في النزع يقول الله تعالى يا ملائكتي هذا غريب مسافر ترك أولاده وعياله ووالديه واذا مات لا يبكي عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحدا من الملائكة على صورة أبيه وواحدا على صورة أمه وواحدا على صورة ولده وواحدا على صورة واحد من أقاربه فيدخلون عليه فيفتح عينيه فيرى والديه وعياله فيطيب قلبه وتخرج روحه مع الفرح والسرور ثم اذا خرجت جنازته يشيعونها ويدعون له على قبره الى يوم القيامة فذلك قوله تعالى الله لطيف بعباده (وقال ابن عطاء) يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء فمن شكر في أيام

الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين ولو اجتمع في رجل علم الثقلين ثم هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشكوى لما نزل به لا ينفعه علمه ولا عمله كما جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى من لم يرض بقضائي ولم يشكر لعطائي فليطلب ربا سواي (حكى وهب بن منبه) ان نبيا عبد الله خمسين عاما فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك فقال يا رب لماذا تغفر لي ولم أذنب قط فأمر الله عرقه فضرب عليه ولم ينم تلك الليلة فجاءه ملك الصبح فشكا اليه مالقي من ضربان العرق فقال ان ربك يقول لك عبادة خمسين عاما ما تعدل شكوى هذا العرق

(الباب الرابع في الرياضة والشهوة النفسانية)

أوحى الله الى موسى عليه السلام ياموسى ان أردت أن أكون أقرب اليك من كلامك الى لسانك ومن وسوسة قلبك ومن روحك الى بدنك ومن نور بصرك الى عينك ومن سمعك الى اذنك فأكثر من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ولتنظر نفس ماقدمت لغد يعني ماعملت في يوم القيامة اعلم أيها الانسان ان النفس الامارة بالسوء هي أعدى لك من ابليس وانما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس وشهواتها فلا تغرنك نفسك بالاماني والغرور لان من طبع النفس الامن والغفلة والراحة والفترة والكسل فدعواها باطل وكل شئ منها غرور وان رضيت عنها واتبعت أمرها هلكت وان غفلت عن محاسبتها غرقت وان عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها قادتك الى النار وليس للنفس رجوع الى الخير وهي رأس البلايا ومعدن الفضيحة وهي خزانة ابليس ومأوى كل شر لا يعرفها الا خالقها واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون يعني من الخير والشر واذا تفكر العبد فيما مضى من عمره في طلب آخرته كان هذا التفكر غسل القلب كما قال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة كذا في تفسير أبي الليث فينبغي للعاقل أن يتوب من الذنوب الماضية ويتفكر فيما يقربه وينجو به في الدار الآخرة ويقصر الأمل ويعجل التوبة ويذكر الله تعالى ويترك المناهي ويصبر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صنم فمن عبد النفس فهو يعبد الصنم ومن عبد الله بالاخلاص فهو الذي قهر نفسه (روى) ان مالك بن دينار كان يمشي في سوق البصرة فرأى التين فاشتهاه فخلع نعله وأعطاه الى البقال وقال أعطني التين فرأى البقال النعل وقال لا يساوي شيأ فمضى مالك فقيل للبقال أليس تعرف من هذا قال لا قيل هو مالك بن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له ان قبل هذا منك فأنت حر فعدا الغلام خلف مالك بن دينار وقال له اقبل هذا مني فأبى فقال اقبل فان فيه تحريري فقال له مالك بن دينار ان كان فيه تحريرك ففيه تعذيبي فألح الغلام عليه فقال مالك بن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا آكل التين الى يوم الدين (حكى) ان مالك بن دينار مرض مرضه الذي مات فيه فاشتهى قدحا من العسل واللبن ليثرد فيه رغيفا حارا فمضى الخادم وحمله اليه فأخذه مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يانفس قد صبرت ثلاثين سنة وقد بقي من عمرك ساعة ورمى القدح من يده وصبر نفسه ومات وهكذا أحوال الانبياء والاولياء والصادقين والعاشقين والزاهدين قال سليمان بن داود عليه السلام ان القاهر لنفسه أشد ممن يفتح المدينة وحده وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ماأنا ونفسي الا كراعي غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب آخر من أمات نفسه بات في كفن الرحمة ودفن في أرض الكرامة ومن أمات قلبه يموت في كفن اللعنة ويدفن في أرض العقوبة (قال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى جاهد نفسك

بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام وحمل الاذى من الانام والقلة من الطعام فيتولد من قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات ومن قلة الطعام موت الشهوات لان فى كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره نور الحكمة الجوع والشبع يبعد من الله كما قال صلى الله عليه وسلم نوروا قلوبكم بالجوع وجاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش وأديموا قرع باب الجنة بالجوع فان الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله تعالى من جوع وعطش ولن يلج ملكوت السماء من ملأ بطنه وفقد حلاوة العبادات (قال) أبو بكر الصديق رضى الله عنه ماشبعت منذ أسلمت لاجد حلاوة عبادة ربى وما رويت منذ أسلمت اشتياقا الى لقاء ربى لان فى كثرة الاكل قلة العبادة لانه اذا أكثر الانسان الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجىء منه شىء وان اجتهد الا النوم فيكون كالجيفة الملقاة كذا فى منهاج العابدين (عن لقمان الحكيم) أنه قال لابنه لاتكثر النوم والاكل فان من أكثرهما جاء يوم القيامة مفلسا من الاعمال الصالحة كذا فى منية المفتى وقال صلى الله عليه وسلم لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تحت القلب تغلى والبخار يصل اليه فكثرة البخار تكدره وتسوده وفى كثرة الأكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب الفطنة (حكى) عن يحيى بن زكريا عليه السلام ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ماهذه قال الشهوات التى أصيد بها بنى آدم قال يحيى هل تجد لى فيها شيأ قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة قال يحيى عليه السلام لاجرم انى لا أشبع بعدها أبدا فقال ابليس لاجرم انى لا أنصح أحدا أبدا فهذه فيمن لم يشبع فى عمره الا ليلة فكيف بمن لايجوع فى عمره ليلة ثم يطمع فى العبادة (حكى) أيضا عن يحيى بن زكريا عليه السلام انه شبع مرة من خبز شعير فنام تلك الليلة عن ورده فأوحى الله تعالى اليه يايحيى هل وجدت دارا هى خير لك من دارى أو وجدت جوارا هو خير لك من جوارى وعزتى وجلالى لو اطلعت على الفردوس واطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بدل الدموع ولبست الحديد بدل المسوح

﴿الباب الخامس فى غلبة النفس وعداوة الشيطان﴾

ينبغى للعاقل أن يقمع شهوة النفس بالجوع اذ الجوع قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات والاكل والشرب كما قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ان أقرب الناس الى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهاهما ربهما عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات (وقال بعض الحكماء) من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هفواتها ومنعت قلبه من الفوائد من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجرة الندامة ان الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ﴿حكاية﴾ قال ابراهيم الخواص كنت فى جبل

الكلام فرأيت رمّانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمّان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال لى وعليك السلام يا ابراهيم فقلت من أين عرفتنى فقال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن يحميك من هذه الزنابير فقال وانى أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن يحميك من شهوة الرمّان فان الرمّان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا ولدغ الزنابير على النفوس ولدغ الشهوات على القلوب فمضيت وتركته * الشهوة تصير الملوك عبيدا والصبر يصير العبيد ملوكا ألا ترى الى قصة يوسف عليه السلام و زليخا فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره وصارت زليخا ذليلة حقيرة فقيرة عجوزا عمياء لاجل شهوتها فان زليخا لم تصبر عن محبة يوسف (حكى) أبو الحسن الرازى أنه رأى والده فى منامه بعد موته بسنتين وعليه ثياب من القطران فقال له يا أبى مالى أرى عليك هيئة أهل النار فقال يا ولدى جذبتنى نفسى الى النار فاحذر يا ولدى من خديعة نفسك

انى ابتليت بأربع ماسلطوا * الا لشدة شقوتى وعنائى
ابليس والدنيا ونفسى والهوى * كيف الخلاص وكلهم أعدائى
وأرى الهوى تدعو اليه خواطرى * فى ظلمة الشهوات والآراء

قال حاتم الاصم رحمه الله نفسى ر باطى وعلمى سلاحى وذنبى خيبتى والشيطان عدوّى وأنا بنفسى غادر (حكى عن بعض أهل المعرفة) انه قال الجهاد على ثلاثة أصناف جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر كالذى فى قوله تعالى يجاهدون فى سبيل الله وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة كقوله تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن وجهاد مع النفس الامارة بالسوء كالذى فى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد جهاد النفس وان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا اذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وانما سموا الجهاد مع الهوى والنفس والشيطان أكبر لان الجهاد معها أدوم وجهاد الكفار يكون فى وقت دون وقت ولان الغازى يرى العدوّ ولا يرى الشيطان والجهاد مع عدوّ يراه أسهل من الجهاد مع عدوّ لا يراه ولان للشيطان معينا من نفسك وهو الهوى وليس للكافر من نفسك معين فلذلك كان أشد ولانك اذا قتلت الكافر تجد النصر والغنيمة وان قتلك الكافر تجد الشهادة والجنة ولا تقدر أن تقتل الشيطان وان قتلك الشيطان تقع فى عقوبة الرحمن كما قيل من فرّ منه فرسه فى الحرب يقع فى أيدى الكفار ومن فرّ منه الايمان يقع فى غضب الجبار نعوذ بالله منه ومن وقع فى أيدى الكفار لا تغل يده الى عنقه ولا تقيد رجله ولا يجوع بطنه ولا يعرى بدنه ومن وقع فى غضب الجبار يسوّد وجهه وتغل يده الى عنقه بالاغلال وتقيد رجله بقيود النار ويكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار

﴿الباب السادس فى الغفلة﴾

الغفلة تزيد الحسرة الغفلة تزيل النعمة وتحجب عن الخدمة الغفلة تزيد الحسد الغفلة تزيد الملامة والندامة حكى ان بعض الصالحين رأى أستاذه فى المنام فسأله أىّ الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة الغفلة وروى ان بعضهم رأى ذا النون المصرى فى منامه فقال له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وقال لى يا مدّعى يا كذاب ادّعيت محبتى ثم غفلت عنى

أنت في غفلة وقلبك ساهي * ذهب العمر والذنوب كما هي

(حكي) ان رجلا من الصالحين رأى والده في منامه فقال يا أبت كيف أنت وكيف حالك فقال له يا ولدي عشنا في الدنيا غافلين ومتنا غافلين (وفي زهر الرياض) كان يعقوب عليه السلام مؤاخيا لملك الموت فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت أزائرا جئت أم قابضا روحي فقال بل زائرا قال فاني أسألك حاجة قال وما هي قال أن تعلمني اذا دنا أجلي وأردت أن تقبض روحي فقال نعم أرسل اليك رسولين أو ثلاثة فلما انقضى أجله أتى اليه ملك الموت فقال أزائرا جئت أم لقبض روحي فقال لقبض روحك فقال أولست كنت أخبرتني انك ترسل الي رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت بياض شعرك بعد سواده وضعف بدنك بعد قوته وانحناء جسمك بعد استقامته هذه رسلي يا يعقوب الى بني آدم قبل الموت

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل * وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك في الدنيا غرور وحسرة * وعيشك في الدنيا محال وباطل

(قال) أبو علي الدقاق دخلت على رجل صالح أعوده وهو مريض وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه وهو يبكي وقد بلغ أرذل العمر فقلت له أيها الشيخ م بكاؤك أعلى الدنيا فقال كلا بل أبكي على فوت صلاتي فقلت وكيف ذلك وقد كنت مصليا قال لاني قد بقيت الى يومي هذا وما سجدت الا في غفلة ولا رفعت رأسي الا في غفلة وها أنا أموت على الغفلة ثم انه تنفس الصعداء وأنشأ يقول

تفكرت في حشري ويوم قيامتي * واصباح خدي في المقابر ثاويا
فريدا وحيدا بعد عز ورفعة * رهينا بجرمي والتراب وساديا
تفكرت في طول الحساب وعرضه * وذل مقامي حين أعطي كتابيا
ولكن رجائي فيك ربي وخالقي * بأنك تعفو يا الهي خطائيا

وفي عيون الاخبار ذكر عن شقيق البلخي أنه قال الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد خالفوها في أفعالهم يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الاحرار وهذا خلاف قولهم ويقولون ان الله كفيل بأرزاقنا ولا تطمئن قلوبهم الا بالدنيا وجمع حطامها وهذا أيضا خلاف قولهم ويقولون لابد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم فانظر لنفسك يا أخي بأي بدن تقف بين يدي الله تعالى وبأي لسان تجيبه وماذا تقول اذا سألك عن القليل والكثير فأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون أي من الخير والشر ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبأن يوحدوه في السر والعلانية (جاء في الخبر) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعني ومحب من أحبني ومجيب من دعاني وغافر لمن استغفرني فينبغي للعاقل أن يطيع الله بالخوف والاخلاص في طاعته والرضا بقضائه والصبر على بلائه وبالشكر على نعمائه والقناعة بعطائه يقول الله تعالى من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي ولم يقنع بعطائي فليطلب ربا سوائي وقال رجل للحسن البصري رحمه الله اني لا أجد الطاعة لذة فقال له لعلك نظرت في وجه من لا يخاف الله العبودية أن تترك الاشياء كلها لله وقال رجل لابي يزيد رحمه الله اني لا أجد للطاعة لذة فقال لانك تعبد الطاعة لا تعبد الله اعبد الله حتى تجد للطاعة لذة (حكي) ان رجلا دخل في الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد خطر بباله انه عابد لله في الحقيقة فنودي في السر كذبت انما تعبد الخلق فتاب واعتزل الناس ثم شرع في الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودي كذبت انما تعبد مالك فتصدق بماله كله

ثم شرع فى الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودى كذبت انما تعبد ثيابك فتصدق بها الا ما لا بد له منه ثم شرع فيها فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودى الآن صدقت انما تعبد ربك (وفى رونق المجالس) ضاع لرجل جوالق فلم يدر من أخذه منه فلما دخل فى الصلاة تذكره فلما سلم قال لغلامه اذهب الى فلان ابن فلان واسترد منه الجوالق فقال له الغلام متى تذكرته فقال حين كنت فى الصلاة فقال حين كنت فى الصلاة فقال يا مولاى كنت طالب الجوالق لا طالب الخالق فاعتقه مولاه ببركة اعتقاده * فينبغى للعاقل أن يترك الدنيا ويعبد الله ويتفكر أمامه ويريد الآخرة كما قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا أى ملاذها من لباسها وطعامها وشرابها نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب بأن ينزع من قلبه حب الآخرة ولذلك أنفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألف دينار فى السر وأربعين ألف دينار فى العلانية حتى لم يبق له شىء وكان صلى الله عليه وسلم معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها هو وأهله ولذلك كان جهاز السيدة الزهراء رضى الله عنها لما زوجها النبى صلى الله عليه وسلم من على جلد كبش مدبوغ ووسادة أدم حشوها الليف

﴿الباب السابع فى نسيان الله تعالى والفسق والنفاق﴾

جاءت امرأة الى الحسن البصرى رضى الله عنه فقالت انه كانت لى ابنة شابة فماتت وأحببت ان أراها فى المنام فجئتك كى تعلمنى ما أستعين به على رؤيتها فعلمها فرأتها وعليها لباس من قطران وفى عنقها الغل وفى رجلها القيد فأخبرت الحسن بذلك فاغتم ومضت مدة ثم رآها الحسن فى الجنة وعلى رأسها تاج فقالت يا حسن أما تعرفنى أنا ابنة المرأة التى أتتك وقالت لك كذا فقال لها ما الذى صيرك الى ما أرى قالت مر بنا رجل فصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مرة وكان فى المقبرة خمسمائة وخمسون انسانا فى العذاب فنودى ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل (نكتة) بصلاة رجل على محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم المغفرة فمن يصلى عليه منذ خمسين سنة فلا يجد شفاعته يوم القيامة * قال الله تعالى (ولا تكونوا) أى فى المعصية (كالذين) يعنى كالمنافقين الذين (نسوا الله) يعنى تركوا أمر الله وفعلوا خلافه وتلذذوا بشهوات الدنيا وركنوا الى غرورها وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همه فى الصلاة والصيام والمنافق همه فى الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يحسن ويبكى والمنافق يسىء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى سياسة دينية ويصلح والمنافق يأمر وينهى رياسة ويفسد بل يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف كما قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم وقال تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا الآية يعنى ان ما زاد على كفرهم ونفاقهم فبدأ بالمنافقين لانهم شر من الكفار وجعل مأواهم جميعا النار وقال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم

نصيرا الآية والمنافق اشتقاقه فى اللغة من نافقاء اليربوع ويقال ان لليربوع جحرتين احداهما النافقاء والاخرى القاصعاء فيظهر نفسه فى احداهما ويخرج من الأخرى ولهذا سمى المنافق منافقا لانه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الاسلام الى الكفر (وفى الحديث) مثل المنافق كمثل الشاة ترى بين قطيعين من الغنم تارة تسير الى هذا القطيع وتارة الى هذا القطيع ولا تسكن لواحد منهما الا انها غريبة ليست منهما وكذلك المنافق لا يستقر مع المسلمين بالكلية ولا مع الكافرين * ان الله خلق النار ولها سبعة أبواب كما قال الله تعالى لها سبعة أبواب الآية من حديد مطبقة باللعنة وعليها ظهارة النحاس وبطانة الرصاص فى أصلها العذاب وفوقها السخط وأرضها من نحاس وزجاج وحديد ورصاص النار من فوق أهلها والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم طبقاتها بعضها فوق بعض أعد للمنافقين منها الدرك الاسفل وجاء فى الخبر ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لى النار وحرها فقال ان الله عز وجل خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة والذى بعثك بالحق نبيا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الارض لماتوا جميعا ولو أن دلوا من شرابها اصب على ماء الارض جميعه لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التى ذكرها الله تعالى بقوله فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا الآية كل ذراع طوله من المشرق الى المغرب لو وضع على جبال الدنيا الذابت ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وسأل صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا جبريل صف لى أبواب جهنم أهى كأبوابنا هذه فقال يارسول الله لا ولكنها طباق بعضها أسفل من بعض من الباب الى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذى يليه بسبعين ضعفا وسأله أيضا عن سكان هذه الابواب فقال أما الاسفل ففيه المنافقون واسمه الهاوية كما قال الله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والباب الثانى فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس عليه اللعنة ومن تبعه من المجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمها الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ثم أمسك جبريل عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تخبرنى عن سكان الباب السابع فقال جبريل يا محمد لا تسألنى عنه فقال له أخبرنى عنه فقال فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا (روى) أنه لما نزل قوله تعالى وان منكم الا واردها اشتد خوفه صلى الله عليه وسلم على أمته وبكى بكاء شديدا فالعارف بالله وبشدة سطوته وقهره يخافه خوفا شديدا ويبكى على نفسه وتفريطه قبل ان يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة المهولة وقبل ان تنهتك الاستار ويعرض على المنتقم الجبار ويؤمر به الى النار فكم من شيخ ينادى فى النار واشيبتاه وكم من شاب ينادى فى النار واشباباه وكم من امرأة فى النار تنادى وافضيحتاه واهتك ستراه وقد سودت وجوههم وأجسادهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تستر نساؤهم اللهم اجرنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا الى النار وادخلنا الجنة مع الابرار برحمتك يا عزيز يا غفار اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وأقلنا من عثراتنا ولا تفضحنا بين يديك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن فى التوبة﴾

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة قال الله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا والامر للوجوب وقال تعالى

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله) يعني عاهدوا الله ونبذوا كتابه وراء ظهورهم (فأنساهم أنفسهم) يعني أنساهم حالهم حتى لم ينهوا أنفسهم ولم يقدموا لها خيرا وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (أولئك هم الفاسقون) يعني العاصون الناقضون عهدهم أي الخارجون عن طريق الهداية والرحمة والمغفرة والفاسق على نوعين فاسق كافر وفاسق فاجر فالفاسق الكافر هو من لم يؤمن بالله ورسوله وخرج عن الهداية ودخل في الضلالة كما قال الله تعالى فسق عن أمر ربه يعني خرج عن طاعة أمر ربه بالايمان والفاسق الفاجر هو الذي يشرب الخمر ويأكل الحرام ويزني ويعصي الله تعالى ويخرج من طريق العبادة ويدخل في المعصية ولا يأتي بالشرك والفرق بينهما أن الفاسق الكافر لا يرجى غفرانه الا بالشهادة والتوبة قبل موته والفاسق الفاجر يرجى غفرانه بالتوبة والندامة قبل الموت فان كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجى غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر لا يرجى غفرانها ومعصية ابليس كان أصلها من الكبر فينبغي لك أن تتوب من ذنوبك قبل الموت رجاء أن يقبلك الله كما قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت الآية يعني يتجاوز عما عملوا بقبوله التوبة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ❊(حكي)❊ ان رجلا كان كلما أذنب يكتب ذنبه في ديوان فأذنب يوما ذنبا فنشر ديوانه ليكتبه فيه فلم يجد فيه الا قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية يعني يبدل مكان الشرك الايمان ومكان الزنا العفو ومكان المعصية العصمة والطاعة (وحكي) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر وقتا من الاوقات من سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قارورة تحت ثيابه فقال عمر أيها الشاب ما الذي تحمل تحت ثيابك وكان فيها خمر فخجل الشاب أن يقول خمرا وقال في سره الهي لا تخجلني عند عمر ولا تفضحني واسترني عنده فلا أشرب الخمر أبدا ثم قال يا أمير المؤمنين الذي أحمل هو خل فقال أرني حتى أراها فكشفها بين يديه فرآها عمر صارت خلا فانظر الى مخلوق تاب من خوف مخلوق فبدل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل لما علم منه اخلاص التوبة فلو تاب العاصي المفلس عن الاعمال الفاسدة توبة نصوحا وندم على ذنبه يبدل الله سبحانه وتعالى خمر سيآته بخل الطاعة ❊ وذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت ذات ليلة بعد ما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بامرأة في الطريق فقالت يا أبا هريرة اني ارتكبت ذنبا فهل لي من توبة فقلت وما ذنبك قالت اني زنيت وقتلت ولدي من الزنا فقلت لها هلكت وأهلكت والله ما لك من توبة فخرت مغشيا عليها فمضيت فقلت في نفسي أفتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فرجعت اليه فأخبرته بذلك فقال هلكت وأهلكت فأين أنت من هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية فخرجت وقلت من يدلني على امرأة سألتني مسئلة والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فشهقت شهقة من السرور وقالت ان لي حديقة جعلتها صدقة لله ورسوله ❊(حكاية)❊ عن عتبة الغلام رحمه الله تعالى وكان من أهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما في مجلس الحسن البصري وهو يقرأ في تفسير قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله يعني ألم يجيء وقت تخاف قلوبهم فوعظ الشيخ في تفسير هذه الآية وعظا بليغا حتى أبكى الناس فقام من بينهم شاب فقال يا تقي المؤمنين أيقبل الله تعالى الفاسق الفاجر مثلي اذا تاب فقال الشيخ نعم يقبل الله توبتك عن فسقك وفجورك فلما سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفر وجهه وارتعدت فرائصه فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما أفاق دنا منه الحسن وقال

هذه الابيات

أيا شابا لرب العرش عاصي * أتدري ما جزاء ذوي المعاصي
سعير للعصاة لها زفير * وغيظ يوم يؤخذ بالنواصي
فان تصبر على النيران فاعصه * والا كن عن العصيان قاصي
وفيما قد كسبت من الخطايا * رهنت النفس فاجهد في الخلاص

فصاح عتبة صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال ياشيخ هل يقبل الرب الرحيم توبة مثلي اللئيم فقال الشيخ هل يقبل توبة العبد الجافي الا الرب المعافي ثم رفع رأسه ودعا الله ثلاث دعوات الاولى قال الهي ان كنت قبلت توبتي وغفرت ذنوبي فأكرمني بالفهم والحفظ حتى أحفظ كل ما سمعت من العلم والقرآن والثانية قال الهي أكرمني بحسن الصوت حتى ان كل من سمع قراءتي يزداد رقة في قلبه وان كان قاسي القلب والثالثة قال الهي أكرمني بالرزق الحلال وارزقني من حيث لا أحتسب فاستجاب الله جميع دعائه حتى زاد فهمه وحفظه وكان اذا قرأ القرآن تاب كل من سمع قراءته وكان يوضع في بيته كل يوم قصعة من المرق ورغيفان ولا يدري أحد من يضعها وكان على هذه الحالة حتى فارق الدنيا وهذا حال من أناب الى الله تعالى لان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا * وسئل بعض العلماء هل يعرف العبد اذا تاب أن توبته قبلت أم ردت فقال لا حكم في ذلك ولكن لذلك علامات أن يرى نفسه معصومة من المعصية ويرى الفرح عن قلبه غائبا والرب شاهدا ويقارب أهل الخير ويباعد أهل الفسق فيرى القليل من الدنيا كثيرا والكثير من عمل الآخرة قليلا ويرى قلبه مشتغلا بما فرض الله تعالى عليه ويكون حافظا للسانه دائم الفكرة ملازم الغم والندامة على ما فرط من ذنوبه

﴿الباب التاسع في المحبة﴾

ذكر ان رجلا رأى صورة قبيحة في البادية فقال من أنت قالت أنا عملك القبيح قال فما النجاة منك قالت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم الصلاة علي نور على الصراط ومن صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاما ﴿وحكي﴾ ان رجلا كان غافلا عن الصلاة على سيدنا محمد فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة في المنام ولم يلتفت اليه فقال يارسول الله أأنت علي غضبان قال لا قال فلم لا تنظر الي قال لاني لا أعرفك فقال كيف لا تعرفني وأنا رجل من أمتك وقد روى العلماء انك أعرف بأمتك من الوالدة بالولد فقال صدقوا ولكن انك لا تذكرني بالصلاة وان معرفتي بأمتي بقدر صلاتهم علي ثم انتبه الرجل وأوجب على نفسه أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم مائة مرة ففعل ذلك ثم رآه بعد ذلك في المنام فقال أعرفك الآن وأشفع لك أي لانه صار محبا لرسول الله انتهى * قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا كعب بن الاشرف وأصحابه الى الاسلام قالوا نحن في المنزلة أبناء الله ونحن أشد حبا لله فقال الله تعالى لنبيه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني على ديني فاني رسول الله أؤدي رسالته اليكم وحجته عليكم يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وايثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه قال الامام في الاحياء من ادعى أربعا من غير أربع فهو كذاب من ادعى حب الجنة ولم يعمل بالطاعة فهو كذاب ومن ادعى حب

النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحب العلماء والفقراء فهو كذاب ومن ادعى الخوف من النار ولم يترك المعاصي فهو كذاب ومن ادعى حب الله تعالى وشكا من البلوى فهو كذاب كما قالت رابعة *

تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وعلامة المحبة موافقة المحبوب واجتناب خلافه (حكي) ان جماعة دخلوا على الشبلي رحمه الله تعالى فقال من أنتم قالوا نحن أحباؤك فأقبل ثم رماهم بالحجارة فهربوا امنه فقال لم تهربون مني لو كنتم أحبائي لما فررتم من بلائي ثم قال الشبلي رحمه الله أهل المحبة شربوا بكاس الوداد فضاقت عليهم الارض والبلاد وعرفوا الله حق معرفته وتاهوا في عظمته وتحيروا في قدرته وشربوا بكاس حبه وغرقوا في بحر أنسه وتلذذوا بمناجاته ثم أنشد

ذكر المحبة يامولاي أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران

ويقال ان البعير اذا سكر لا يأكل العلف أربعين يوما ولو حمل عليه أضعاف مايحمله لحمله لانه اذا هاج في قلبه ذكر محبوبه لايحب العلف ولا يعيا من الحمل الثقيل لاشتياقه الى محبوبه فاذا كان من شأن الابل أن تترك شهوتها وتحمل الحمل الثقيل لاجل محبوبها فهل أنتم تركتم شهوة محرمة لاجل الله وهل تركتم طعاما وشرابا لاجل الله تعالى وهل حملتم على أنفسكم حملا ثقيلا لاجل الله تعالى فان لم تفعلوا شيأ من الخيرات مما ذكرت فدعوا كم اسم بلا معنى لاتنفع في الدنيا ولا في العقبى ولا عند الخلق ولا عند الخالق وعن علي كرم الله وجهه قال من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار نهى نفسه عن الشهوات ومن تيقن الموت هانت عليه اللذات (وسئل) ابراهيم الخواص عن المحبة فقال محو الارادات واحراق جميع الصفات والحاجات واغراق نفسه في بحر الاشارات

(الباب العاشر في العشق)

الحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقا فيجاوز الى أن يكون رقيقا للمحبوب وينفق مايملك لاجله ألا ترى الى زليخا بلغ بها من محبة يوسف عليه السلام ان ذهب مالها وجمالها وكان لها من الجواهر والقلائد وقر سبعين جملا وقد أنفقتها كلها في محبة يوسف وكل من قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تغنيه حتى لم يبق لها شيء وكانت تسمى كل شيء باسم يوسف وقد نسيت كل شيء سواه من فرط العشق واذا رفعت رأسها الى السماء رأت اسم يوسف مكتوبا على الكواكب وروى أنها لما آمنت وتزوجته عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما اذا عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها سكنت اليه (وحكي) أن مجنون ليلى قيل له ما اسمك قال ليلى وقيل له يوما أوماتت ليلى قال ان ليلى في قلبي لم تمت أنا ليلى ومر يوما على دار ليلى فنظر الى السماء فقيل له يا مجنون لا تنظر الى السماء ولكن انظر الى جدار ليلى لعلك تراها قال أنا أكتفي بنجم يقع ظله على دار ليلى *(وحكي)* عن منصور الحلاج رحمه الله تعالى انهم حبسوه ثمانية عشر يوما فجاءه

الشبلي رضي الله عنه فقال يامنصور ما المحبة فقال لاتسألني اليوم واسألني غدا فلما جاء الغد وأخرجوه من السجن ونصبوا النطع لاجل قتله مر الشبلي بين يديه فنادى ياشبلي المحبة أولها حرق وآخرها قتل (اشارة) لما تحقق للحلاج رضي الله عنه في نظره ان كل شيء ما خلا الله باطل وعلم ان الله هو الحق نسي عند تحقق اسم الحق اسم نفسه فسئل من أنت قال أنا الحق (روى) ان صدق المحبة في ثلاث خصال أن يختار كلام حبيبه على كلام غيره ويختار مجالسة حبيبه على مجالسة غيره ويختار رضا حبيبه على رضا غيره كذا في المنتهى وقيل العشق هتك الاستار وكشف الاسرار والوجد عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر حتى لو قطع عضو من أعضائه لايحس ولا يشعر (وحكى) ان رجلا كان يغتسل في الفرات فسمع رجلا يقرأ وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلم يزل يضطرب حتى غرق ومات وعن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت في البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات عاشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فحمل ميتا قال الجنيد رحمه الله تعالى التصوف ترك الاختيار (وحكى) ان ذا النون المصري رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عريان مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله أنين من قلب حزين قال فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له من أنت ياغلام قال أنا غريب عاشق فعلمت ما يقول قلت وأنا مثلك فبكى وبكيت أنا ببكائه قال أتبكي أنت فقلت أنا مثلك فبكى بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت روحه من ساعته فطرحت عليه ثوبي وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريت الكفن ورجعت اليه فلم أجده في مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول ياذا النون ان هذا الغريب الذي طلبه الشيطان في الدنيا فما وجده وطلبه مالك فلم يره وطلبه رضوان في الجنة فما وجده قلت فأين هو قال فسمعت هاتفا يقول في مقعد صدق عند مليك مقتدر بسبب محبته وكثرة طاعته وتعجيل توبته كذا في زهر الرياض (وسئل) بعض المشايخ عن المحب فقال قليل الخلطة كثير الخلوة دائم الفكرة ظاهر الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا يفهم اذا كلم ولا يحزن اذا أصيب بمصيبة واذا أصيب بجوع فلا يدري ويعرى ولا يشعر ويشتم ولا يخشى ينظر الى الله تعالى في خلوته ويأنس به ويناجيه ولا ينازع أهل الدنيا في دنياهم وقد قال أبو تراب النخشبي في علامات المحبة أبياتا

لاتخدعن فللحبيب دلائل * ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه * وسروره في كل ماهو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه * طوع الحبيب وان ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما * والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهما * لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا * متحفظا من كل ماهو قائل

(حكاية) مر عيسى عليه السلام بشاب يسقي بستانا فقال الشاب لعيسى سل ربك أن يرزقني من محبته مثقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة فقال نصف ذرة فقال عيسى عليه السلام يارب ارزقه نصف ذرة من محبتك فمضى عيسى عليه السلام فلما كان بعد مدة طويلة مر بمحل ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جن وذهب الى الجبال فدعا الله عيسى عليه السلام أن يريه اياه فرآه بين الجبال في [illegible] قائما على

صخرة

صغرة شاخصا طرفه الى السماء فسلم عليه عيسى عليه السلام فلم يرد عليه فقال أنا عيسى فأوحى الله تعالى
الى عيسى كيف يسمع كلام الآدميين من كان فى قلبه مقدار نصف ذرة من محبتي فوعزتي وجلالي
لوقطعته بالمنشار لما علم بذلك * من ادعى ثلاثة ولم يتطهر من ثلاثة فهو مغرور أولها من ادعى حلاوة
ذكر الله وهو يحب الدنيا وثانيها من ادعى محبة الاخلاص فى العمل ويحب تعظيم الناس له وثالثها
من ادعى محبة خالقه من غير اسقاط نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتى زمان على أمتي
يحبون خمسا وينسون خمسا يحبون الدنيا وينسون الآخرة ويحبون المال وينسون الحساب ويحبون
الخلق وينسون الخالق ويحبون الذنوب وينسون التوبة ويحبون القصور وينسون المقبرة وقال
منصور بن عمار لشاب يعظه ياشاب لا يغررك شبابك فكم من شاب أخر التوبة وأطال الأمل ولم يذكر موته
فقال انى أتوب غدا أو بعد غد فجاءه ملك الموت وهو غافل عن التوبة فصار فى جوف القبر لا ينفعه مال ولا
عبد ولا ولد ولا أب ولا أم كما قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم اللهم ارزقنا
التوبة قبل الموت ونبهنا عند الغفلة وانفعنا بشفاعة نبينا خير المرسلين صلى الله عليه وسلم صفة المؤمن أن
يتوب من يومه وساعته ويندم على مافعل من ذنوبه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا بل يشتغل
بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالاخلاص ﴿حكاية﴾ كان رجل بخيل منافق حلف على زوجته بالطلاق
أن لا تتصدق بصدقة فجاء سائل على باب داره وقال ياأهل الدار بحق الله الا أعطيتموني شيأ فأعطته المرأة
ثلاثة أرغفة فاستقبله المنافق وقال من أعطاك هذه الأرغفة قال أعطوني من الدار الفلانية فكانت داره
فدخل المنافق داره وقال لامرأته ألست قد حلفت عليك أن لا تعطى أحدا شيأ فقالت أعطيت لأجل
الله عز وجل فذهب المنافق وأوقد التنور حتى حمى ثم قال قومى فألقي نفسك فى التنور لأجل الله فقامت
المرأة وأخذت حليها فقال المنافق دعي الحلي فقالت المرأة الحبيب يتزين لحبيبه وأنا زائرة لحبيبي ثم ألقت
نفسها فى التنور فأطبق المنافق عليها ومضى فلما تم لها ثلاثة أيام جاء المنافق ففتح عليها رأس التنور
فرأى المرأة سالمة بقدرة الله تعالى فتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف يقول أما علمت ان النار
لا تحرق أحبابنا ﴿وحكى﴾ ان آسية امرأة فرعون كانت تكتم ايمانها من فرعون فلما اطلع فرعون
على ايمانها أمر بها أن تعذب فعذبوها بأنواع العذاب وقال ارتدى فلم ترتد فأتى بأوتاد وضربوها على
أعضائها ثم قال ارتدى فقالت انك تغلب نفسي وقلبي فى عصمة ربي لو قطعتني اربا اربا ما ازددت الاحبا فمر
موسى عليه السلام بين يديها فنادت موسى أخبرني أراض عني ربي أم ساخط قال موسى عليه السلام
يا آسية ملائكة السموات فى انتظارك أى مشتاقة اليك والله يباهي بك فاسأليني حاجتك فانها مقضية
فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين وعن سلمان
رضى الله عنه قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها
وكانت ترى بيتها فى الجنة وعن أبي هريرة ان فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها وجعل على
صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة
الآية قال الحسن فنجاها الله أكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي تأكل وتشرب وفيه دليل على أن
الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين ودين المؤمنين

﴿الباب الحادى عشر فى طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم﴾

قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اعلم رحمك الله أن محبة العبد لله ولرسوله طاعتهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد انعامه عليهم بالغفران قيل العبد اذا علم أن الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل مايراه كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحث على طاعته وعن الحسن قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد انا نحب ربنا فأنزل الله هذه الآية وعن بشر الحافي رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا بشر أتدري بم رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يارسول الله قال بخدمتك للصالحين ونصيحتك لاخوانك ومحبتك لاصحابك وأهل سنتي واتباعك لسنتي قال صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي يوم القيامة في الجنة وجاء في الآثار المشهورة ان المتمسك بسنة سيد الخلائق والمرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب له أجر مائة شهيد كذا في شرعة الاسلام وقال كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبي قالوا ومن أبي قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى كل عمل ليس على سنتي فهو معصية وقال بعضهم لو رأيت شيخا يطير في الهواء أو يمشي على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك وهو يترك فرضا من فرائض الله تعالى أو سنة من السنن عامدا فاعلم انه كذاب في دعواه وليس فعله كرامة بل هو استدراج نعوذ بالله منه قال الجنيد رحمه الله ماوصل أحد الى الله الا بالله والسبيل الى الوصول الى الله متابعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال أحمد الحواري رحمه الله كل عمل بغير اتباع السنة فباطل كما قال صلى الله عليه وسلم من ضيع سنتي حرمت عليه شفاعتي كذا في شرعة الاسلام (حكي) أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم (وحكي) عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر اليها الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك أتحب الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وقال سهل رحمه الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حبه صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة قال ابو الحسن الزنجاني أصل العبادة على ثلاثة أركان العين والقلب واللسان فالعين بالعبرة والقلب بالفكرة واللسان بالصدق والتسبيح والذكر كما قال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا يعني غدوا وعشيا (حكي) أن عبد الله وأحمد بن حرب حضرا موضعا فقطع أحمد بن حرب قطعة من حشيش الارض فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك وعودت نفسك الاشتغال بغير ذكر الله تعالى وجعلت ذلك طريقا يقتدي بك فيه ومنعته عن تسبيح ربه وألزمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة كذا في رونق المجالس وعن السري رضي الله عنه قال رأيت مع الجرجاني سويقا

يستف منه فقلت لماذا لا تأكل طعاما غيره قال انى حسبت ما بين المضغ والاستفاف تسعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وكان سهل بن عبد الله يأكل فى كل خمسة عشر يوما مرة فاذا دخل رمضان لم يأكل فيه الا أكلة واحدة ويصبر فى بعض الاوقات عن الطعام سبعين يوما وكان اذا أكل ضعف واذا جاع قوى وجاور أبو حماد الاسود فى المسجد الحرام ثلاثين سنة وما رؤى انه أكل أو شرب ولا يخلو ساعة من ذكر الله (وحكى) أن عمرو بن عبيد كان لا يخرج من منزله الا لثلاث للصلاة مع الجماعة ولعيادة المريض ولحضور الجنازة ويقول رأيت الناس سراقا وقطاعا للطريق العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغى أن تملأ منه خزانة باقية فى الآخرة واعلموا بأن طالب الآخرة لا بد له من الزهد فى الحياة الدنيا ليصير همه هما واحدا ولا يفترق باطنه من ظاهره ولا يمكن حفظ الحال الا بضبط الظاهر والباطن قال الشبلى رحمه الله وكنت أول بدايتى اذا غلبنى النوم اكتحلت بالملح فاذا زاد على الامر أحمى الميل فأكتحل به (وحكى) عن ابراهيم بن الحاكم انه قال كان أبى اذا جاءه النوم دخل البحر فيسبح فيجتمع اليه حيتان البحر يسبحون معه (وحكى) أن وهب بن منبه دعا الله أن يرفع عنه النوم بالليل فذهب عنه النوم أربعين سنة وكان حسن الحلاج قيد نفسه من كعبه الى ركبته بثلاثة عشر قيدا وكان يصلى مع ذلك كل يوم وليلة ألف ركعة وكان الجنيد يأتى الى السوق فى بداية أمره فيفتح حانوته فيدخله ويسبل الستر فيصلى أربعمائة ركعة ثم يرجع الى بيته وصلى حبشى بن داود صلاة الغداة أربعين سنة على طهر العشاء فينبغى للمؤمن أن يكون دائما على الطهارة وكلما أحدث يتطهر ويصلى ركعتين ويجتهد أن يستقبل القبلة فى كل مجلسه ويصور فى نفسه انه جالس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر الحضور والمراقبة حتى يلازم السكينة والوقار فى الفعل ويحتمل الاذى ولا يقابل المسىء ويستغفر لكل مسىء ولا يعجب بنفسه ولا بعمله فان العجب من صفة الشيطان وينظر الى نفسه بعين الحقارة ويرى الصالحين بعين الاحترام والتعظيم فمن لم يعرف حرمة الصالحين حرمه الله تعالى صحبتهم ومن لم يعرف حرمة الطاعة نزع من قلبه حلاوتها * سئل الفضيل بن عياض فقيل له يا أبا على متى يكون الرجل صالحا قال اذا كانت النصيحة فى نيته والخوف فى قلبه والصدق فى لسانه والعمل الصالح فى جوارحه قال الله تعالى فى معراج النبى صلى الله عليه وسلم يا أحمد ان أحببت أن تكون أورع الناس فازهد فى الدنيا وارغب فى الآخرة فقال الهى كيف أزهد فى الدنيا فقال خذ من الدنيا بقدر الطعام والشراب واللباس ولا تدخر لغد ودم على ذكرى فقال يا رب كيف أدوم على ذكرك فقال بالخلوة عن الناس واجعل نومك الصلاة وطعامك الجوع وقال صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فيها رأس كل خير وطاعة ﴿وحكى﴾ ان بعض الصالحين مر على جماعة فاذا بطبيب يصف الداء والدواء فقال يا معالج الاجسام هل تعالج القلوب فقال الطبيب نعم صف لى داءه فقال قد أظلمته الذنوب فقسا وجفا فهل له من علاج فقال الطبيب علاجه التضرع والابتهال والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار والمبادرة الى طاعة العزيز الغفار والاعتذار الى الملك الجبار فهذه معالجة القلوب والشفاء من علام الغيوب فصاح الرجل الصالح ومضى باكيا وقال نعم الطبيب أنت أصبت علاج قلبى فقال الطبيب هذا معالجة قلب من تاب ورجع بقلبه الى البر التواب ﴿وحكى﴾ ان رجلا اشترى غلاما فقال الغلام يا مولاى ان لى معك ثلاثة شروط أحدها أن لا تمنعنى عن الصلاة المكتوبة اذا جاء وقتها والثانى أن تأمرنى بالنهار ما شئت ولا تأمرنى بالليل والثالث أن تجعل لى منزلا فى بيتك لا يدخله غيرى فقال له الرجل لك هذه

الشروط ثم قال الرجل انظر في البيوت فطاف الغلام فوجد فيها بيتا خرابا فقال أخذت هذا فقال يا غلام اخترت بيتا خرابا فقال الغلام يا مولاي أما علمت أن الخراب مع الله بستان فكان يخدم مولاه بالنهار و يتفرغ بالليل لعبادة ربه سبحانه وتعالى فبينما هو كذلك اذ طاف مولاه ذات ليلة في الدار فبلغ حجرة الغلام فاذا هي منورة والغلام ساجد وعلى رأسه قنديل من النور معلق بين السماء والارض والغلام يناجي ربه و يتضرع ويقول الهي أوجبت على حق مولاي وخدمته بالنهار ولولا ذلك ما اشتغلت ليلي ولا نهاري الا بخدمتك فاعذرني يارب ومولاه ينظر اليه حتى انفجر الصبح ورد القنديل وانضم سقف البيت فرجع وأخبر امرأته بذلك فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد امرأته وجاءا الى باب الحجرة فاذا الغلام في السجود والقنديل على رأسه فوقفا على الباب ينظران اليه و يبكيان حتى أصبحا فدعا الغلام فقال له أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر اليه فرفع الغلام يديه الى السماء وقال

ياصاحب السر ان السر قد ظهرا * ولا أريد حياتي بعدما اشتهرا

ثم قال الهي أسألك الموت فخر الغلام ميتا هكذا أحوال الصالحين والعاشقين والطالبين وفي زهر الرياض ان موسى عليه السلام كان له صديق يأنس به فقال ذات يوم ياموسى ادع الله أن يعرفني اياه حق معرفته فدعا موسى عليه السلام فاستجيب له فلحق صاحبه بالجبال مع الوحوش وفقده موسى فقال يارب أخي ومؤنسي فقدته فقيل له ياموسى من عرفني حق معرفتي لا يصحب مخلوقا أبدا وجاء في الاخبار ان يحيى وعيسى عليهما السلام كانا يمشيان في السوق فصدمتهما امرأة فقال يحيى والله ما شعرت بذلك فقال عيسى سبحان الله بدنك معي وقلبك أين قال يا ابن الخالة لو اطمأن قلبي الى غير ربي طرفة عين لظننت اني ما عرفت الله و يقال صدق المعرفة أن يطلق الدنيا والعقبى و يتجرد للمولى وأن يسكر من شراب المحبة فلا يصحو الا عند الرؤية فهو على نور من ربه

﴿الباب الثاني عشر في ذكر ابليس وعذابه﴾

قال الله سبحانه وتعالى فان تولوا أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فان الله لا يحب الكافرين يعني لا يغفر لهم ولا يقبل توبتهم كما لم يقبل توبة ابليس لكفره واستكباره وتاب على آدم عليه السلام وقبل توبته لانه أقر على نفسه بالذنب وندم عليه ولام نفسه وهذا وان لم يكن ذنبا حقيقة لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون لا تقع منهم المعصية أبدا لا قبل النبوة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواء عليهما السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فندم عليه السلام وأسرع بالتوبة ولم يقنط من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وابليس لم يقر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يلم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقنط من رحمة الله تعالى وتكبر فمن كان حاله مثل حال ابليس لم تقبل توبته ومن كان حاله مثل حال آدم قبل الله توبته لان كل معصية أصلها من الشهوة فانه يرجى غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر فانه لا يرجى غفرانها ومعصية آدم أصلها من الشهوة ومعصية ابليس أصلها من الكبر (حكي) ان ابليس جاء الى موسى عليه السلام فقال له أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما فقال له موسى نعم فما الذي تريد ياهذا ومن أنت فقال ابليس ياموسى قل لربك خلق من خلقك قد سألك التوبة فأوحى الله الى موسى قل له اني قد استجبت لك فيما سألت ومره ياموسى أن يسجد لقبر آدم فاذا سجد له قبلت توبته وغفرت له ذنوبه فأخبره موسى فغضب

ابليس واستكبر وقال ياموسى انالم أسجدله فى الجنة فكيف أسجدله وهوميت (روى) ان ابليس يشتد عليه العذاب فى النار فيقال له كيف وجدت عذاب الله فيقول أشد ما يكون فيقال له ان آدم فى رياض الجنة فاسجدله واعتذر حتى يغفر لك فيأبى فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ألف ضعف وجاء فى الحبران الله تعالى يخرج ابليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبى ثم يرده الى النار اخوانى ان أردتم النجاة من ابليس فاعتصموا بالمولى واستعيذوا به اذا كان يوم القيامة يوضع كرسى من النار فيقعد عليه ابليس عليه اللعنة فتجتمع الشياطين والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينهق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ماوعدربكم قالوا حقا ثم يقول هذا يوم أيست فيه من الرحمة فيأمر الله تعالى الملائكة أن يضربوه ومن تبعه بمقامع من نار فيهوون فيها أربعين سنة فلا يسمعون الامر بالخروج أبدا الابد نعوذ بالله منها ورد انه يؤتى بابليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسى من نار وعلى عنقه طوق اللعنة ويأمر الله عز وجل الزبانية أن يجروه عن الكرسى ويلقوه فى النار فيتعلقون به ليلقوه فلا يقدرون ثم يأمر الله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك فلا يقدرون ثم يأمر اسرافيل ثم عزرائيل أيضا ومع كل واحد منهما ثمانون ألف ملك فلا يقدرون فيقول الله تعالى لهم لواجتمع عليه أضعاف ما خلقت من الملائكة لما قدروا على أن ينقلوه وطوق اللعنة على عنقه (وروى) ان ابليس كان اسمه فى سماء الدنيا العابد وفى الثانية الزاهد وفى الثالثة العارف وفى الرابعة الولى وفى الخامسة التقى وفى السادسة الخازن وفى السابعة عزازيل وفى اللوح المحفوظ ابليس وهوغافل عن عاقبة أمره فأمره الله أن يسجد لآدم فقال أتفضله على وأناخير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فقال تعالى أنا أفعل ما أشاء فرأى لنفسه شرفا فولى آدم ظهره أنفة وكبرا وانتصب قائما الى أن سجدت الملائكة المدة المارة فلما رفعوا رؤسهم ورأوه لم يسجدوهم قدوفقوا للسجود سجدوا ثانيا شكرا وهوقائم يرى معرضا عنهم غير عازم على الاتباع ولا نادم على الامتناع فمسخه الله من الصورة البهية فنكسه كالخنزير وجعل رأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير ووجهه بينهما كوجه القردة وعينيه مشقوقتين فى طول وجهه ومنخريه مفتوحتين ككوز الحجام وشفتيه كشفتى الثور وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وفى لحيته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الارض الى الجزائر فلا يدخل الارض الا خفية ولعنه الى يوم الدين لانه صار من الكافرين وانظر كان بهى الصورة باهى الاجنحة كثير العلم كثير العبادة طاوس الملائكة وأعظمهم سيد الكروبيين الى غير ذلك فلم يغن ذلك عنه شيأ ان فى ذلك لذكرى (وفى الاثر) لما مكر بابليس بكى جبريل وميكائيل فقال الله لهما ما يبكيكما قالا ربنا ما أمنا مكرك فقال تعالى هكذا كونا لاتأمنا مكرى (وروى) ان ابليس قال يارب أخرجتنى من الجنة لاجل آدم وأنا لا أقدر عليه الا بتسليطك قال أنت متسلط عليه أى على أولاده لعصمة الانبياء منه قال زدنى قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال زدنى قال صدورهم مساكن لك تجرى فيها مجرى الدم قال زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك أى استعن عليهم بأعوانك من راكب وماش وشاركهم فى الاموال أى بحملهم على كسبها وصرفها فى الحرام والاولاد أى بالحث على التوصل اليهم بالسبب المحرم كالوطء فى الحيض والاشراك فيهم بتسميتهم بنحو عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الباطلة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم أى المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الامل

وهـذا على طريق التهديد كاعملوا ماشئتم فقال آدم يارب قد سلطته على فلا أمتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من الملائكة قال زدني قال الحسنة بعشر أمثالها قال زدني قال لا أنزع منهم التوبة مادامت أرواحهم في أبدانهم قال زدني قال أغفر لهم ولا أبالي قال اكتفيت فقال ابليس يارب جعلت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلي قال الكهان قال فما كتبي قال الوشم قال فما حديثي قال الكذب قال فما قرآني قال الشعر قال فما مؤذني قال المزمار قال فما مسجدي قال الاسواق قال فما بيتي قال الحمام قال فما طعامي قال الذي لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال السكر قال فما مصايدي قال النساء

﴿الباب الثالث عشر في الامانة﴾

قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها أي امتنعن من قبولها وأشفقن منها أي خفن من الامانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب أو خفن من الخيانة فيها ومعنى الامانة في هذه الآية الطاعة والفرائض التي يتعلق باداثها الثواب والعقاب قال القرطبي الامانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الاقوال وهو قول الجمهور واختلف في تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود هي في أمانة الاموال كالودائع وغيرها وروى عنه انها في كل الفرائض وأشدها أمانة المال وقال أبو الدرداء غسل الجنابة أمانة وقال ابن عمر أول ماخلق الله من الانسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها فلا تلبسها الا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد والرجل أمانة ولا ايمان لمن لا أمانة له (قال الحسن) ان الامانة عرضت على السموات والارض والجبال فاضطربت ومافيها فقال الله لها ان أحسنت أجرتك وان أسأت عذبتك فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقال ذلك فقال قد تحملتها ولا يخفى ان عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال عرض تخيير لا عرض الزام ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها وقال القفال وغيره العرض في هذه الآية ضرب مثل أي أن السموات والارض والجبال على كبر اجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أي ان التكليف أمر عظيم حقه أن تعجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان كما قال تعالى (وحملها الانسان) أي التزم بحقها آدم بعد عرضها عليه في عالم الذر عندخروج ذريته من ظهره وأخذ الميثاق عليهم (انه كان ظلوما جهولا) أي وهو في ذلك الحمل ظلوم لنفسه جهول بقدر مادخل فيه أو جهول بأمر ربه وعن ابن عباس قال عرضت الامانة على آدم فقيل خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها فما كان الا مابين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تداركه الله برحمته فتاب عليه وهدى والامانة مستحقة من الايمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله ايمانه قال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال الشاعر

تبا لمن رضي الخيانة مهيعا * وازور عن صون الامانة جانبه
رفض الديانة والمروءة فاغتدى * تترى عليه من الزمان مصائبه

(وقال آخر)

أخلق بمن رضي الخيانة شيمة * ان لا يرى الا صريع حوادث

مازالت الازراء يستزل بؤسها * أبدا بغادر ذمة أوناكث

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي بخير مالم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما وقال صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك (وفي الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان أي اذا ائتمنه أحد بكلمة خانه بافشائها للناس أو بوديعة خانه بانكارها وعدم حفظها أو استعمالها بغير اذنه فحفظ الامانة صفة الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وشيمة الابرار المتقين قال الله سبحانه وتعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها قال المفسرون هذه الآية مشتملة على كثير من أمهات الشرع والمخاطب بها عموم المكلفين الولاة وغيرهم فيجب على الولاة انصاف المظلوم واظهار حقه وذلك أمانة وحفظ أموال المسلمين لاسيما اليتامى ويجب على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم فهي أمانة اختار لحفظها العلماء ويجب على الوالد رعاية ولده بحسن التأديب اذ هو أمانة عنده قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته (وفي زهر الرياض) يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى أرددت أمانة فلان فيقول لا يارب فيأمر الله تعالى ملكا فيأخذ بيده وينطلق به الى جهنم ويريه الامانة بعينها في قعر جهنم فيهوي فيها سبعين عاما حتى ينتهي الى قعرها ثم يصعد بالامانة فاذا بلغ أعلى جهنم زلت قدمه فيهوي فيها كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيرضي عنه صاحب الامانة وروي عن سلمة قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتي بجنازة ليصلي عليها فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتي بجنازة أخرى فقال هل عليه دين قالوا نعم قال فهل ترك شيأ فقالوا ثلاث دنانير فصلى عليها ثم أتي بالثالثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم هل ترك شيأ قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وعن قتادة رضي الله عنه قال قال رجل يارسول الله أرأيت ان قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عني خطاياي قال نعم فلما أدبر الرجل ناداه فقال يغفر الله للشهيد كل ذنب الا الدين

الباب الرابع عشر في اتمام الصلاة بالخضوع والخشوع

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون اعلم ان الخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث وقد اختلفوا في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين واستدل من قال بالاول بحديث ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وبقوله تعالى أقم الصلاة لذكري والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال تعالى ولا تكن من الغافلين (أخرج) البيهقي عن محمد بن سيرين قال نبئت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت الآية وزاد عبد الرزاق عنه أمره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده وأخرج الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت هذه الآية فطأطأ رأسه وروي عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى عليه من الدرن شيء يعني ان الصلوات

تطهر من الذنوب ولا تبقى منها شيأ فيما دون الكبائر وهذا اذا صلى بخشوع وحضور قلب والا فهى
مردودة عليه وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم
من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر
الله تعالى فاذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى
الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم
اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك
وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضى الله
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه
اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع
بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخى اذا صلى لم
تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة
فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (وروى) ان عليا كرم الله وجهه كان اذا حضرت الصلاة
يتزلزل ويتلون وجهه فيقال له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات
والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروى عن على بن الحسين انه كان اذا توضأ
اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم
(ويروى) عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى
أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم الى الصلاة وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط
تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى وأظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء
والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد
على الورك الايسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدرى
أقبلت منى أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب
ساه وقال صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا
ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال ألا أخبركم بأسوء الناس سرقة قالوا من هو يا رسول الله قال الذى يسرق من صلاته قالوا وكيف يسرق
من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وقال صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة
الصلاة فان كان قد أتمها هون عليه الحساب وان كان قد انتقص منها شيأ قال الله تعالى لملائكته هل
لعبدى من تطوع فأتموا الفريضة منه وقال صلى الله عليه وسلم ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له
فى ركعتين يصليهما وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا أراد القيام الى الصلاة ترتعد فرائصه وتصطك
أسنانه فقيل له فى ذلك قال حان وقت أداء الامانة وقضاء الفريضة ولا أدرى كيف أؤديها (وحكى)
عن خلف بن أيوب انه كان قائما فى الصلاة فلدغه زنبور فسال منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج ابن سعيد
فأعلمه بذلك فغسل ثوبه فقيل له يلدغك زنبور ويسيل منك الدم ولم تشعر به فقال أيشعر بمثل هذا من
يكون واقفا بين يدى الملك الجبار وملك الموت على قفاه والنار عن شماله والصراط تحت قدميه * ووقعت
الآكلة فى يد عمرو بن ذر وكان جليلا فى الزهد والعبادة فقال له الاطباء لا بد لك من قطع هذه اليد فقال

اقطعوها

اقطعوها فقالوا لا نقدر على قطعها الا أن نشدك بالحبال فقال لا ولكن اذا شرعت فى الصلاة فاقطعوها حينئذ فلما دخل فى الصلاة قطعت يده ولم يشعر بذلك

﴿الباب الخامس عشر فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر﴾

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله تعالى من نفس المصلى غمامة بيضاء ثم يأمرها الله تعالى أن تأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعالى أن تمطر فاذا أمطرت فأى قطرة قطرت على الارض يخلق الله الذهب منها وأى قطرة قطرت على الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة وأى قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الايمان (قال الله سبحانه وتعالى) كنتم خير أمة أخرجت للناس قال الكلبى هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الامة فى الفضل على غيرها من الامم وفيها دليل على أن هذه الامة الاسلامية خير الامم على الاطلاق وان هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الامة وآخرها بالنسبة الى غيرها من الامم وان كانت متفاضلة فى ذاتها كما ورد فى فضل الصحابة على غيرهم ومعنى أخرجت أظهرت للناس أى لنفعهم ومصالحهم فى جميع الاعصار حتى تميزت وعرفت وقوله تعالى تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير امع مايشتمل عليه مع انهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به فاذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر زال عنهم ذلك فجعلهم الله خير الناس للناس لانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون الكفار ليسلموا فتريح منفعتهم على غيرهم كما قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس وشر الناس من يضر الناس (تؤمنون بالله) أى تصدقون بتوحيد الله وتثبتون على ذلك وتقرون أن محمدا نبى الله لان من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمن بالله لانه يزعم ان الآيات المعجزات التى أتى بها من عند نفسه وقال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان يعنى أضعف فعل أهل الايمان قال بعضهم التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعوام وقال بعضهم كل من يقدر على ذلك فالواجب عليه أن يغيره كما قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان الآية ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير اليه وسد سبيل الشرور والعدوان بحسب الامكان وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى الارض وخليفة كتابه وخليفة رسوله * عن حذيفة رضى الله عنه قال يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم قال موسى يارب ماجزاء من دعا أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قال أكتب له بكل كلمة عبادة سنة وأستحيى أن أعذبه بنارى (وفى الحديث القدسى) يقول الله تعالى يا ابن آدم لا تكن ممن يؤخر التوبة ويطول الامل ويرجع الى الآخرة بغير عمل يقول قول العابدين ويعمل عمل المنافقين ان أعطى لم يقنع وان منع لم يصبر ويحب الصالحين وليس منهم ويبغض المنافقين وهو منهم يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر ولم ينته عنه وعن على كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيأتى قوم فى آخر الزمان أحداث الاسنان نواقص العقل يقولون من قول خير البرية لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت

ليلة أسري بي الى السماء رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم كما قال الله تعالى في حقهم (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) يعني تتلون كتاب الله ولا تعملون بما فيه فكانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون فيجب على المؤمنين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ولا ينسون أنفسهم كما قال الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) الآية فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقد ذم الله أقواما بترك الامر بالمعروف فقال (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) يعني لا ينهى بعضهم بعضا (لبئسما كانوا يفعلون) روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه انه قال لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا خياركم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب الله أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وقال أبو ذر الغفاري قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم قال الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده ان العبد ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء لكل غرفة منها ثلثمائة باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليتزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر وكلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بالمعروف ونهى عن المنكر (وفي الخبر) ان الله تعالى قال يا موسى هل عملت لي عملا قط قال الهي صليت لك وصمت لك وتصدقت لأجلك وسجدت لك وحمدتك وقرأت كتابك وذكرتك قال الله تعالى يا موسى أما الصلاة فلك برهان وأما الصوم فلك جنة وأما الصدقة فلك ظل وأما التسبيح فلك أشجار في الجنة وأما قراءة كتابي فلك حور وقصور وأما الذكر فلك نور فأي عمل عملت لي قال موسى دلني يا رب على عمل أعمله لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى ان أفضل الاعمال الحب لله والبغض لله لأعدائه وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل فقال رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل شهداء أمتي رجل قام الى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر * أوحى الله الى يوشع بن نون عليه السلام اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وعن أنس رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله ألا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله

عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله وأوصى بعض السلف بنيه فقال اذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الاذى

﴿الباب السادس عشر في عداوة الشيطان﴾

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلازم مجالستهم ويسأل ما لا يعلمه ويتعظ بنصحهم ويجتنب الاعمال القبيحة ويتخذ الشيطان عدوا كما قال الله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أى فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه فى معاصى الله تعالى وكونوا على حذر منه فى جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم واذا فعلتم فعلا فتفطنوا له فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح واستعينوا عليه بربكم قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذه سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فبين لنا صلى الله عليه وسلم كثرة طرق الشيطان روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب فى بنى اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها ان دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى فى قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها هو ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى خنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لى سجدتين ففعل فقال له الشيطان انى برىء منك فهو الذى قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك (وروى) ان ابليس سأل الشافعى رضى الله عنه ما قولك فيمن خلقنى كما اختار واستعملنى فيما اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلنى الجنة وان شاء أدخلنى النار أعدل فى ذلك أم جار فنظر فى كلامه ثم قال يا هذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل فاضمحل الى أن صار لا شئ ثم قال والله يا شافعى لقد أخرجت بمسئلتى هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية (واعلم) ان مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدريها فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخله وأبوابه صفات العبد وهى كثيرة (منها) الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبى بالكرة وقد ذكر أن بعض الاولياء قال لابليس أرنى كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى (ومنها) الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شئ أعماه حرصه وأصمه فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا او فاحشا فقد روى

ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لاصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله الى نوح انه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص (ومنها) الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات وهي أسلحة الشيطان فقد روي ان ابليس ظهر ليحيى عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا ابليس ماهذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي أن لا أملأ بطني من الطعام أبدا فقال له ابليس ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا (ومنها) حب التزين من الأثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها او يدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره فاذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض الى أن يساق اليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة نعوذ بالله (ومنها) الطمع في الناس فقد روي صفوان بن سليم أن ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيأ أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فاني أملكك اذا غضبت (ومنها) العجلة وترك التثبت في الامور قال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري فقد روي انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا له أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقي الارض فلم يجد شيأ فوجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا بالملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فايئسوا من ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة (ومنها) الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان قال ثابت البناني لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤه وقالوا ما ندري قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحق ذلك فقال لهم ابليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا وروي أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا (ومنها) البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الأليم ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال وهي معشش الشياطين

(ومنها)

(ومنها) التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا قال الحسن رضي الله عنه بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون أن ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها (ومنها) سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز عنه وعن تهمة الاشرار فهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطنا وأن ذلك خبثه يترشح منه فيجب على الانسان قطع هذه الابواب من القلب وبعينه عليها ذكر الله تعالى (قال ابن اسحق) لما رأى كفار قريش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له صلى الله عليه وسلم أصحاب من غيرهم فحذروا خروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوى وهي دار قصي بن كلاب وسميت بذلك لاجتماع الندى فيها يتشاورون وكانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها ولا يدخلون فيها غير قريشي الى أن يبلغ أربعين سنة بخلاف القرشي وقد أدخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي وذلك أنه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء غليظ أو طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فتشاوروا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا مائة رجل وقيل كانوا خمسة عشر رجلا فقال أبو البختري المقتول كافرا ببدر احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء فبله فقال النجدي ما هذا برأي والله لو حبستموه في الحديد ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم تكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي فانظروا في غيره فقال أبو الاسود ربيعة بن عمر والعامري نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ما هذا برأي ألم تر واحسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أدير وافيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله ان لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدي لعنه الله القول ما قال لا أرى غيره فاجتمع رأيهم على قتله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا على ذلك ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه السلام عليا فنام مكانه وغطى ببرده صلى الله عليه وسلم أخضر كان يشهد به الجمعة والعيدين بعد ذلك عند فعلهما فكان علي أول من شرى نفسه في الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه (شعر)

وقيت بنفسي خير من وطيء الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا * موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يتهمونني * وقد وطنت نفسي على القتل والاسر

ثم خرج صلى الله عليه وسلم من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي من الفراش فقالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية (شعر)

لا تجزعن فبعد العسر تيسير * وكل شيء له وقت وتقدير

وللمقدر في أحوال الناظر * وفوق تدبيرنا لله تدبير

ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضي الله عنه (روى) الحاكم عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معي قال أبو بكر الصديق وأخبر صلى الله عليه وسلم عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة أي أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار وروى الطبراني في حديث أسماء كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشية فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة فقلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أي مغطيا رأسه في ساعة لم يكن يأتينا فيها قال أبو بكر رضي الله عنه فدى له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت عائشة رضي الله عنها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له أبو بكر فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك يعني عائشة وأسماء وفي رواية فقال أبو بكر لا عين عليك انما هما ابنتاي فقال صلى الله عليه وسلم فانه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضي الله عنها فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب أن أحدا يبكي من الفرح فقال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين قال صلى الله عليه وسلم لا بل بالثمن وفي رواية فقال بثمنها ان شئت وانما أخذها بالثمن لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى قالت عائشة فجهزناهما أحث أي أسرع الجهاز وفي رواية أحب الجهاز وصنعنا لهما سفرة أي زادا في جراب زاد الواقدي انه كان في السفرة شاة مطبوخة قالت فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين تثنية نطاق بكسر النون ما يشد به الوسط قالت عائشة رضي الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور فكمنا فيه ثلاث ليالي وهو جبل بمكة نزله ثور بن عبد مناة فنسب له وروى أنهما خرجا من خوخة أي باب صغير لأبي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار وروى ان أبا جهل لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا قالت أسماء بنت أبي بكر وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا

القافة جمع قائف وهو الذي يعرف الاثر في كل وجه فوجد الذي ذهب بجهة ثور رأوه هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع الاثر لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده وروى القاضي عياض انه صلى الله عليه وسلم ناداه ثبير اهبط عني فاني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب فناداه حراء الي يارسول الله وروى انه لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة وهي شجرة معروفة بأم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار وان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار فعششتا على بابه وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل وحمايته في الحرم فلا يتعرض له ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعلم ان الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أي حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد لو دخل لكسر البيض وتفسخ العنكبوت وهذا أبلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها حتى عمى على القائف الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شيء

فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

(وروى الشيخان عن أنس قال حدثني أبو بكر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وذكر بعض أهل السير ان أبا بكر لما قال ذلك قال له صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وعن الحسن البصري بلاغا ان أبا بكر ليلة انطلق معه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله فقال أذكر الطلب فأمشي خلفك وأذكر الرصد فأمشي امامك فقال لو كان شيء أحببت ان تقتل دوني قال أي والذي بعثك بالحق فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يارسول الله حتى أستبرئ لك الغار فاستبرأه فجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي جحر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ولقد أحسن حسان بن ثابت رضي الله عنه حيث قال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعدا الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال وذلك من أول ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت منه (حكي) ان زاهدا من الزهاد

اسمه ذكر يا مرض مرضا شديدا داوه وناوقت أجله فأتاه صديقه في سكرات الموت ولقنه لا اله الا الله محمد رسول الله فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقل فقال له ثانيا فأعرض فقال له ثالثا فقال لا أقول فغشي على صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الزاهد خفة ففتح عينيه فقال هل قلتم لي شيأ قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثا فأعرضت في مرتين وقلت في الثالثة لا أقول فقال أتاني ابليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء ووقف عن يميني وهو يحرك القدح فقال لي أتحتاج الى الماء قلت بلى قال عيسى بن الله فأعرضت عنه ثم أتاني من قبل رجلي فقال لي كذلك فأعرضت عنه وفي الثالثة قال لي كذلك فقلت لا أقول فضرب القدح على الارض وولى هاربا فأنا رددت على ابليس لا عليكم فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وروي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال سأل بعضهم ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس اللهم لا تسلط علينا شيطانا مريدا ولا سلطانا حسودا وأعنا على ذكرك وشكرك بجاه خاتم أنبيائك ورسلك صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وكرم

(الباب السابع عشر في بيان الامانة والتوبة)

روى عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبي يقول بينما سفيان الثوري يطوف اذ رأى رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلت له يا هذا انك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك في هذا شيء قال من أنت عافاك الله فقلت أنا سفيان الثوري قال لولا انك أزهد أهل زمانك ما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال لي خرجت ووالدي حاجا الى بيت الله الحرام حتى اذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فقمت بشأنه حتى مات فاسود وجهه فقلت انا لله وانا اليه راجعون وغطيت وجهه فغلبتني عيناي فنمت حزينا فرأيت رجلا لم أر أحسن منه وجها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الازار عن وجهه فأمر بيده على وجهه فابيض ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه فقلت يا عبد الله من أنت الذي من الله على والدي بك في أرض الغربة قال أوما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما ان والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة علي فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياث لمن أكثر الصلاة علي فانتبهت فاذا وجه أبي قد ابيض (وروى) عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة (اعلم) ان الامانة مأخوذة من الأمن لانه يؤمن معها من منع الحق وضدها الخيانة من الخون وهو النقص لانك اذا خنت أحدا في شيء فقد أدخلت عليه النقصان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة في النار وقال صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروأته وظهرت عدالته ووجبت أخوته ومدح أعرابي قوما فقال شغفوا على الامانة فلا يغدرون بذمة ولا ينتهكون لمسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خير امة أقول وهؤلاء الذين مدحهم الاعرابي قد انقرضوا فلم تر في هذه الازمان الا ذئابا في ثياب كما قال

بمن يثق الانسان فيما ينوبه … ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

(وكما قال آخر)

ذهب الذين يقال عند فراقهم * ليت البلاد وما بها تتصدع

وعن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الامانة سترفع ويصبح الناس يتبايعون وما يكاد أحد منهم أن يؤدي الامانة حتى يقال ان في بني فلان أمينا (واعلم) أن التوبة واجبة بالاخبار والآيات قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته ويروى عن الحسن قال لما تاب الله على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي فأوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه لأني قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى أن حبشيا قال يا رسول الله اني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا حجبت عنه التوبة مادام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيآت كما يذهب الماء الوسخ وعن سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى انه كان للأوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين بأنهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب ويروى أن نبيا من الانبياء أذنب فأوحى الله اليه وعزتي لئن عدت لأعذبنك فقال يا رب أنت أنت وأنا أنا وعزتك ان لم تعصمني لأعودن فعصمه الله تعالى ويروى ان رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم

التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس (ويروى) أنه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصه أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك (وروى) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تاب العبد تاب الله عليه وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوى عمله وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا وأنسى مكانه من الارض ومقامه من السماء ليجيء يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مكتوب حول العرش قبل أن يخلق الخلق بأربعة آلاف عام وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى (واعلم) أن التوبة فرض عين من الذنوب الكبائر والصغائر فورا فان الاصرار على الصغائر يلحقها بالكبائر قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهرا وباطنا نادما غير عازم على العود ومثل من تاب ظاهرا فقط كمثل مزبلة بسط عليها ديباج والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها فاذا كشف عنها الغطاء أعرضوا عنها فكذلك الخلق ينظرون الى أهل الطاعة الظاهرة فاذا كشف الغطاء يوم القيامة يوم تبلى السرائر أعرضت الملائكة عنهم ولذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كم من تائب يجيء يوم القيامة يظن أنه تائب وليس بتائب أي لانه لم يحكم أبواب التوبة من الندم والعزم على عدم العود ورد المظالم لأربابها ان أمكن واستحلالهم منها ان تيسر والا أكثر من الاستغفار له ولهم عسى الله أن يرضيهم عنه ونسيان الذنب من أقبح المصائب فعلى العاقل أن يحاسب نفسه ولا ينسى ذنبه كما قيل

يا أيها المذنب المحصي جرائمه * لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
وتب الى الله قبل الموت وانزجر * يا عاصيا واعترف ان كنت معترفا

(وروى الفقيه أبو الليث) بسنده قال دخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال يا رسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخله يا عمر قال فدخل وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا شاب قال يا رسول الله أبكتني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركت بالله شيأ قال لا قال أقتلت نفسا بغير حق قال لا قال فان الله يغفر ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والارضين والجبال قال يا رسول الله ذنبي أعظم من ذلك قال ذنبك أعظم أم الكرسي قال ذنبي أعظم يا رسول الله قال ذنبك أعظم أم العرش قال ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم الهك يعني عفو الله قال بل الله أعظم وأجل قال فانه لا يغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم يعني عظيم التجاوز ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن ذنبك قال اني أستحي منك يا رسول الله قال بل أخبرني قال يا رسول الله اني كنت أنبش القبور منذ سبع سنين حتى ماتت جارية من بنات الانصار فنبشت قبرها وأخذت كفنها ومضيت غير بعيد فغلب الشيطان على فرجعت فجامعتها ثم مضيت غير بعيد واذا بالجارية قامت وقالت ويلك يا شاب أما تستحي من ديان يأخذ للمظلوم من الظالم

تركتني عريانة في عسكر الموتى وأوقفتني جنبا بين يدي الله عز وجل قال فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدفع في قفاه ويقول يا فاسق ما أحوجك الى النار اخرج عني فخرج الشاب تائبا الى الله تعالى أربعين ليلة فلما تم له أربعون ليلة رفع رأسه الى السماء وقال يا اله محمد وآدم وابراهيم ان كنت غفرت لي فاعلم محمدا وأصحابه صلى الله عليه وسلم والا فارسل نارا من السماء فاحرقني بها ونجني من عذاب الآخرة قال فهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك أنت خلقت الخلق فقال بل هو الذي خلقني وخلقهم ورزقني ورزقهم قال جبريل عليه السلام يقول لك الله تعالى اني تبت على الشاب فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الشاب وبشره بأن الله تعالى تاب عليه (حكي) أنه كان في زمن موسى عليه السلام رجل لا يستقيم على التوبة كلما تاب أفسد فمكث على ذلك عشرين سنة فأوحى الله تعالى الى موسى قل لعبدي فلان اني غضبت عليه فبلغ موسى عليه السلام الرسالة الى ذلك الرجل فحزن وذهب الى الصحراء قائلا الهي أنفدت رحمتك أم ضرتك معصيتي أم نفدت خزائن عفوك أم بخلت على عبادك أي ذنب أعظم من عفوك والكرم من صفاتك القديمة واللؤم من صفاتي الحادثة أفتغلب صفتي صفتك واذا حجبت عبادك عن رحمتك فمن يرجون وان طردتهم فالى من يقصدون الهي ان كانت رحمتك قد نفدت وكان لا بد من عذابي فاحمل علي جميع عذاب عبادك فاني قد فديتهم بنفسي فقال الله تعالى يا موسى اذهب اليه وقل له لو كانت ذنوبك ملء الارض لغفرتها لك بعد ما عرفتني بكمال القدرة والعفو والرحمة وقال صلى الله عليه وسلم ما من صوت أحب الى الله من صوت عبد مذنب تائب يقول يا رب فيقول الرب لبيك يا عبدي سل ما تريد انت عندي كبعض ملائكتي أنا عن يمينك وعن شمالك وفوقك وقريب من ضمير قلبك اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت له (قال ذو النون المصري) رحمه الله ان لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتلذذوا من غير عي ولا بكم وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة

(الباب الثامن عشر في فضل الترحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره أما رحمته لنفسه أن يرحمها من عذاب الله تعالى بترك المعاصي والتوبة منها وفعل الطاعات والاخلاص فيها وأما رحمته لغيره أن لا يسعى في أذية المسلم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ويرحم البهائم فلا يكلفها ما لا تطيق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل بها وشرب ثم طلع فاذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا

الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فلأسقينه ماء ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله تعالى فغفر له قالوا يارسول الله ان لنا في البهائم لأجرا قال في كل ذات كبد رطبة أجر وعن أنس بن مالك قال بينما عمر رضي الله عنه يعس ذات ليلة اذمر برفقة قد نزلت تخشى عليهم السرقة فلقي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال ما الذي جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال مررت برفقة قد نزلت فحدثتني نفسي انهم اذا باتوا ناموا فخشيت عليهم السارق فانطلق بنا نحرسهم قال فانطلقا فقعدا قريبا من الرفقة يحرسان حتى اذا طلع الفجر نادى عمر رضي الله عنه يا أهل الرفقة الصلاة حتى اذا رآهم تحركوا انصرف فعلينا ان نقتدى بالصحابة رضي الله عنهم فقد مدحهم الله تعالى بقوله رحماء بينهم وكانوا رحماء على المسلمين وعلى جميع الخلق وكانوا يرحمون أهل الذمة فقد روى عن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر رضي الله عنه ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شابا ثم ضيعناك اليوم وأمر بأن يجري عليه قوته من بيت مال المسلمين وروى عن علي رضي الله عنه قال رأيت عمر رضي الله عنه على قتب وهو يغدو بالابطح فقلت له يا أمير المؤمنين أين تصير قال بعير ند من الصدقة فأنا أطلبه فقلت له لقد أذللت الخلفاء من بعدك فقال لا تلمني يا أبا الحسن فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة لو أن عناقا ذهب بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة لانه لا حرمة لوال ضيع المسلمين ولا لفاسق روع المؤمنين وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونها بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة لجميع المسلمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وقال مالك بن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تعود مريضهم وان تحب تائبهم وروى ان موسى عليه السلام قال يارب بأي شيء اتخذتني صفيا قال برحمتك على خلقي وعن أبي الدرداء رضي الله عنه انه كان يتبع الصبيان فيشترى منهم العصافير فيرسلها ويقول اذهبي فعيشي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر *(حكاية)* مر عابد من بني اسرائيل على كثيب من رمل وقد أصابت بني اسرائيل مجاعة عظيمة فتمنى في نفسه ان هذا لو كان دقيقا لاشبع به بني اسرائيل فأوحى الله الى نبي بني اسرائيل ان قل لفلان ان الله تعالى قد أوجب لك من الاجر ما لو كان دقيقا وأشبعت به الناس ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله (حكي) ان عيسى عليه السلام خرج يوما فلقي ابليس وبيده عسل وفي الاخرى رماد فقال ما تفعل يا عدو الله بهذا العسل والرماد قال أما العسل فأجعله على شفاه المغتابين حتى يبلغوا منها وأما الرماد فأضعه على وجه اليتامى حتى يبغضهم الناس وقال صلى الله عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله عز وجل يا ملائكتي من أبكى هذا الصبي الذي غيبت أباه في التراب وقال صلى الله عليه وسلم من آوى يتيما الى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة وفي روضة العلماء كان ابراهيم عليه السلام اذا أراد أن يأكل طعاما مشى الميل والميلين يطلب من يأكل معه وبكى علي كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك قال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام فأخاف ان يكون الله قد أهانني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم جائعا ير يد به وجه الله وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة وعذبه في النار وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار وقال صلى الله عليه وسلم الجاهل السخى أحب الى الله من العابد البخيل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بغير حساب العالم الذى يعمل بعلمه ومن حج ولم يرفث ولم يفسق حتى مات والشهيد الذى قتل فى المعركة لاعلاء كلمة الاسلام والسخى الذى اكتسب مالا من الحلال وأنفقه فى سبيل الله بغير رياء فهؤلاء ينازع بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة وعن جابر رضى الله عنه قال قيل يارسول الله أى الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام

(الباب التاسع عشر فى بيان الخشوع فى الصلاة)

جاء فى الخبر ان جبريل عليه السلام جاء يوما الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله كنت رأيت ملكا فى السماء على سرير وحوله سبعون ألف ملك صفوفا يخدمونه وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه ملكا والآن رأيت ذلك الملك على جبل قاف منكسر الجناح وهو يبكى فلما رآنى قال أتشفع لى قلت ما جرمك قال كنت على السرير ليلة المعراج فمر بى محمد صلى الله عليه وسلم فما قمت له فعاقبنى الله بهذه العقوبة وجعلنى فى هذا المكان كما ترى قال فتضرعت الى الله فشفعت له فقال الله تعالى ياجبريل قل له حتى يصلى على محمد فصلى ذلك الملك عليك فعفا الله عنه وأنبت جناحيه (اعلم) أنه ورد أن أول ماينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة تقبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت اليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من أمتى ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان مابين صلاتيهما مابين السماء والارض وأشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى ومن صلى صلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته وقال ابن مسعود رضى الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ماقال الله ويل للمطففين وقال بعض العلماء مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول اذا حضر الصلاة قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فأطفئوها وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من

الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم وليس له من قيامه الا التعب والنصب وما أراد به الا الغافل وقال صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها وقال أهل المعرفة الصلاة أربعة أشياء الشروع مع العلم والقيام مع الحياء والاداء مع التعظيم والخروج مع الخوف وقال بعض المشايخ من لم يجمع قلبه على الحقيقة فسدت صلاته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة نهر يقال له الافيح فيه حوارى خلقهن الله من الزعفران يلعبن بالدر والياقوت يسبحن الله بسبعين ألف لغة أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام و يقلن نحن لمن صلى صلاته بالخشوع والحضور فيقول الله تعالى لاسكننه دارى ولاجعلنه من زوارى (وروى) ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ياموسى اذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا واذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق وروى ان الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لا يذكرونى فانى آليت على نفسى ان من ذكرنى ذكرته فاذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ورأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال من لم يخشع قلبه ردت صلاته واعلم أن الله مدح الخاشعين المتواضعين فى الصلاة فى غير آية فقال فى صلاتهم خاشعون على صلواتهم يحافظون على صلاتهم دائمون قيل ان المصلين كثير والخاشعين فى الصلاة قليل والحاج كثير والبار قليل والطير كثير والعندليب قليل والعالم كثير والعامل قليل والصلاة محل الخضوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فان للجواز شرطا وللقبول شرطا فشرط الجواز أداء فرضها وشرط القبول الخشوع قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الآية والتقوى قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (واعلم) أنه لا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فلا بد من دفعها ودفعها قد يكون بالصلاة فى مظلم أو خال عن الشواغل من الاصوات والفرش المنقوشة والتجرد عن الملابس المزينة بحيث تلهيه اذا نظر اليها فى الصلاة كما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى أبى جهم فانها ألهتنى آنفا عن صلاتى وأمر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى صلاته اذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم وروى ان أبا طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه كيف شئت (وعن رجل آخر) انه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا وقال بعض السلف أربعة فى الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان تصلى بطريق من يمر بين يديك قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل مقبل على المصلى ما لم يلتفت وكان الصديق رضى الله عنه فى صلاته كأنه وتد

و بعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك الملوك (وفى التوراة) مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدى مصليا باكيا فأنا الله الذى اقتربت من قلبك و بالغيب رأيت نورى وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عز وجل فيها وسئل أبو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو منى عبدى الا باداء ما افترضته عليه

﴿الباب العشرون فى بيان الغيبة والنميمة﴾

اعلم أن الله سبحانه وتعالى نص على ذم الغيبة فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزنى و يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها وقالوا مثل من يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا فهو يرمى بها يمينا وشمالا فهو يرمى بحسناته كذلك وقال صلى الله عليه وسلم من رمى أخاه بغيبة يريد بها شينه أوقفه الله تعالى على جسر جهنم يوم القيامة حتى يخرج مما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة ذكرك أخاك بما يكره أى سواء ذكرته بنقصان بدنه أو نسبه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى فى ثوبه وردائه ودابته حتى ذكر بعض المتقدمين لو قلت ان فلانا ثوبه طويل أو قصير يكون ذلك غيبة فكيف ذكرك ما يكره من نفسه وروى ان امرأة قصيرة دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض حاجاتها فلما خرجت قالت عائشة رضى الله عنها ما أقصرها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اغتبتيها يا عائشة وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان فيها ثلاث آفات لا يستجاب لصاحبها دعاء ولا تقبل له حسنة وتتراكم عليه السيآت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذم النميمة شر الناس يوم القيامة ذو وجهين النمام الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه من كان ذا وجهين فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة نمام فان قيل ما الحكمة فى أن الله تعالى خلق كل مخلوق ذا لسان ناطق وغير ناطق وليس للسمك لسان أصلا فقيل لان الله تعالى لما خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم الا ابليس فلعنه الله وأخرجه من الجنة ومسخه فأهبط الى الارض فجاء الى البحار فأول ما رآه السمك فأخبره بخلق آدم وقال انه يصطاد ويأخذ دواب البحر والبر فبلغ السمك دواب البحر بخبر آدم فأذهب الله لسانه (حكى) عن عمرو بن دينار أنه قال كان رجل من أهل المدينة له أخت فى ناحية المدينة فاشتكت فكان يأتيها يعودها ثم ماتت وجهزها وحملها الى القبر فلما دفنت رجع الى أهلها ثم ذكر ان له كيسا كان معه فضيعه فى القبر فاستعان برجل من أصحابه فأتيا القبر فنبشاه فوجدا الكيس فقال للرجل تنح عنى حتى أنظر على أى حال هى فرفع بعض ما على اللحد فاذا القبر يشتعل نارا فرجع الى أمه فقال أخبرينى عن ما كانت أختى فقالت كانت أختك تأتى أبواب الجيران فتلقى أذنها الى أبوابهم حتى تستمع الحديث لكى تمشى بالنميمة فعلم ان هذا سبب

عـذاب القبر فمن أراد أن ينجو من عـذاب القبر فليحترز من النميمة والغيبـة (وحكى) عن أبي الليث البخاري أنه خرج حاجا فجعل في جيبه درهمين وحلف ان اغتبت أحدا في طريق مكة ذاهبا أو آيبا فلله على ان أتصدق بهما فذهب الى مكة و رجع الى منزله والدرهمان في جيبه فقيـل له في ذلك قال لأن أزنى مائة مرة أحب الى من ان اغتاب مرة واحـدة قال أبو حفص الـكبير لو لم أصم رمضـان أحب الى من ان أغتاب انسانا ثم قال من اغتاب فقيها جاء يوم القيامة مكتوبا على وجهه هـذا آيس من رحمة الله وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم مررت ليـلة أسرى بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم ويأكلون الجيفة فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم النـاس في الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه والله للغيبة أسرع في دين الرجـل المؤمن من الاكلة في الجسد وقال أبو هريرة رضي الله عنه يبصر أحدكم القذى في عين أخيـه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وروى أن سلمـان كان في سفر مع أبي بكر وعمر وكان يطبخ لهما فنزلوا منزلا فلم يتهيأ أن يصلح لهم من الطعـام فبعثاه الى النبي صلى الله عليه وسلم لينظر عنده شيأ من الطعام فلم يجد فرجع اليهما فقالا انه لو ذهب الى بئر كذا ليبس ماؤهـا فنزلت هذه الآية ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل لحم أخيه في الدنيا قدم اليه لحمه يوم القيامـة ويقال كله ميتا فانك أكلته حيا فيأكله ثم تلا قوله تعالى أيحب أحـدكم أن يأكل لحم أخيـه ميتا وروى عن جابر بن عبد الله الانصارى رضي الله عنه ان ريح الغيبة كانت تبين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لقلتها وأما في هـذه الازمان فقد كثرت الغيبة وامتـلأت الانوف منها فلا تميز رائحتها رمثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغـين فلم يقدر على القرار فيها من شـدة الرائحـة ونتنها وأهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام ويشربون فيها ولا تتبين لهـم تلك الرائحة المنتنه لأنها ملأت أنوفهم فكذلك أمر الغيبة في أيامنا هذه (قال كعب) رضي الله عنـه قرأت في بعض الـكتب أن من مات تائبا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار وقال الله تعـالى ويل لـكل همزة لمزة أشد العـذاب للهمزة الذى يعيبك في الغيب واللمزة الذى يعيبك في وجهك والآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صـلى الله عليـه وسـلم والمسلمين في وجوههم ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فانها أشد من الزنا قالوا كيف تـكون الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل يزنى ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يعفو عنه صاحبه فالواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ليخـرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحـله فيخرج من مظلمته وقال صـلى الله عليـه وسلم من اغتاب أخاه المسلم حول الله وجهه الى دبره يوم القيامة وينبغى لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعـالى قبل القيام من المجلس وقبـل أن تصل الى المغتاب لانه اذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولهـا الى المغتاب تقبل توبته أما اذا بلغته فلا يرتفع عنـه الاثم بالتوبة مالم يجعله في حل وكذلك اذا زنى بامرأة لهـا زوج فبلغه الخبر لا يرتفع بالتوبة مالم يجعله في حل وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة بل بقضاء الفائت من ذلك والله أعلم

﴿الباب الحادى والعشرون في بيان الزكاة﴾

قال الله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون يعنى يؤدون وعن أبي هريرة رضي الله عنـه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره أي ويوسع جسمه لها كلها وان كثرت كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار الحديث وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي لأدنينكم ولا باعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر ليلة أسري به على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام الى الضريع والزقوم ورضف جهنم قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد (وحكى) ان جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سنان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه قال محمد بن يوسف الفريابي فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لا يقبل تسلية ولا عزاء فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه قال بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره واذا صوت من قبره يقول آه أفردوني وحيدا أقاسي العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلي قال فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لانظر ما حاله واذا القبر يلتهب عليه نارا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شفقة الاخوة ومددت يدي لأرفع الطوق من رقبته فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج الينا يده فاذا هي سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل في الدنيا قال كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وأخوك يعجل له العذاب في قبره الى يوم القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له قضية الرجل وقلنا له يموت اليهودي والنصراني ولا نرى فيهم ذلك فقال أولئك لا شك انهم في النار وانما يريكم الله في أهل الايمان لتعتبروا قال الله تعالى فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مانع الزكاة عند الله بمنزلة اليهود والنصارى ومانع العشر عند الله تعالى بمنزلة المجوس ومن يمنع الزكاة والعشر من ماله ملعون على لسان الملائكة والنبي صلى الله عليه وسلم ولا تقبل شهادته وقال طوبى له ان أدى الزكاة والعشر وطوبى لمن ليس عليه عذاب الزكاة وعذاب يوم القيامة ومن أدى الزكاة من ماله رفع الله عنه عذاب القبر وحرم الله لحمه على النار وأوجب له الجنة بغير حساب ولا يصله عطش يوم القيامة

(الباب الثاني والعشرون في بيان الزنا)

قال الله سبحانه وتعالى والذين هم لفروجهم حافظون أي عن الفواحش وعما لا يحل لهم كما قال الله تعالى في آية أخرى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن يعني ما كبر وهو الزنا وما صغر وهو القبلة واللمس

والنظر كما جاء فى الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم انه قال اليدان تزنيان والرجلان تزنيان والعينان تزنيان قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم الآية قد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغض البصر عن الحرام وبحفظ الفرج عن الحرام وقد حرم الله الزنا فى آيات كثيرة قال الله تعالى ومن يفعل ذلك يلق أثاما يعنى عقابا فى النار ويقال واد يا فى النار ويقال جب فى النار اذا فتح فصاح أهل جهنم من خبث رائحته وروى عن بعض الصحابة أنه قال اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة فأما التى فى الدنيا فنقصان الرزق وقطع الاجل وسواد الوجه وأما التى فى الآخرة فغضب الله وشدة الحساب ودخول النار وروى ان موسى عليه السلام قال يارب ما لمن زنى قال الله تعالى ألبسه درعا من النار لو وضع على جبل شاهق لأصبح رمادا وورد ان امرأة فاجرة أحب الى ابليس من ألف فاجر وفى المصابيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان وكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل رجع اليه الايمان وفى كتاب الاقناع قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أعظم عند الله من نطفة يضعها الرجل فى رحم من لا تحل له واللواط أشد من الزنا لما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من لاط لا يجد رائحة الجنة وان رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام (وحكى) ان عبد الله بن عمر كان جالسا على باب داره فرأى غلاما جميلا فدخل عبد الله هاربا وأغلق بابه فلما مكث ساعة قال هل ذهبت هذه الفتنة أم لا فقالوا ذهبت فخرج من الدار فقيل له يا عبد الله ما فعل هذا فى نفسك أسمعت فيه شيأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النظر اليهم حرام والكلام معهم حرام ومجالستهم حرام قال القاضى الامام رحمه الله سمعت بعض المشايخ يقول ان مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا وروى من قبل غلاما بشهوة عذبه الله تعالى فى النار خمسمائة عام ومن قبل امرأة بشهوة فكأنما زنى بسبعين بكرا ومن زنى بالبكر فكأنما زنى بسبعين ألف ثيب (وفى رونق التفاسير) قال الكلبى ان أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لعنه الله تصور لهم فى صورة غلام أمرد جميل ثم دعاهم الى نفسه فنكحوه فصار ذلك عادة لهم فى كل غريب فأرسل اليهم لوط عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله وتوعدهم على اصرار المعصية بعذاب الله فقالوا له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فسأل لوط عليه السلام ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فأمر الله السماء أن تمطر عليهم الحجارة مكتوب على كل حجر اسم من رمى به وهو معنى قوله مسومة عند ربك أى معلمة أى عليها علامة فى خزائن الله أو فى حكمه (وحكى) ان رجلا تاجرا من قوم لوط كان بمكة فجاء حجر ليصيبه فى الحرم فقالت الملائكة للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل فى حرم الله فرجع الحجر فوقف خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل تجارته فلما خرج أصابه الحجر خارجا عن الحرم فأهلكه وكان لوط قد أخرج امرأته معه ونهى من تبعه أن لا يلتفت خلفه الا امرأة لوط فانها لما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فوقع على رأسها فقتلها قال مجاهد لما أصبحوا غدا جبريل على قريتهم وقلعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على خوافى جناحه بما فيها ثم صعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها سرادقها فلم يصب قوما ما أصابهم ثم ان الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم وهى خمس مدائن أكبرها سذوم وهى المؤتفكات المذكورة فى سورة براءة يقال كان فيها أربعة آلاف ألف

﴿الباب الثالث والعشرون في صلة الرحم وحقوق الوالدين﴾

قال تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام أى واتقوا الارحام أن تقطعوها * وقال تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك هم الخاسرون * وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار * وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم والترمذى وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد عن أبى بكرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أجدر أى أحق أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم والشيخان لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان يعنى قاطع رحم وأحمد بسند رواته ثقات ان أعمال بنى آدم تعرض كل خميس وليلة جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم والبيهقى انه أتانى جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ولا الى مسبل أى ازاره خيلاء ولا الى عاق لوالديه ولا الى مدمن خمر الحديث وابن حبان وغيره ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر وأحمد مختصرا وابن أبى الدنيا والبيهقى يبيت قوم من هذه الامة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببنى فلان وخسف الليلة بدار فلان خواص ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ولترسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة نسيها جعفر والطبرانى فى الاوسط عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم واياكم والبغى فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى واياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين والاصبهانى كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يجالسنا اليوم قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالة له قد كان بينهما بعض الشئ فاستغفرها فاستغفرت له ثم عاد الى المجلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم وهذا يؤيد ما روى ان أبا هريرة رضى الله عنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحرج على كل قاطع رحم الا قام من عندنا فقام شاب الى عمة له قد صارمها منذ سنين فصالحها فقالت له عمته ما جاء بك فذكر لها فقالت ارجع واسأله لم ذاك فرجع فسأله فقال لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم والطبرانى ان الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم والطبرانى بسند صحيح عن الاعمش قال كان ابن مسعود رضى الله عنه جالسا بعد الصبح فى حلقة فقال أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا فانا نريد

أن ندعو ربنا وأن أبواب السماء مرتجة أي بضم فقتح والجيم مخففة مغلقة دون قاطع رحم والشيخان الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح واعترض تصحيحه بأنه منقطع وروايته وصله قال البخاري خطأ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بتته أي قطعته وأحمد باسناد صحيح ان من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وان هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل فمن قطعها حرم الله عليه الجنة وأحمد باسناد جيد قوي وابن حبان في صحيحه ان الرحم شجنة من الرحمن تقول يارب اني قطعت يارب اني أسيء الي يارب اني ظلمت يارب يارب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك والشجنة بكسر أوله المعجم وضمه واسكان الجيم القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ومعنى من الرحمن أي مشتق لفظها من لفظ اسمه الرحمن كما يأتي في الحديث على الأثر والبزار باسناد حسن الرحم حجنة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني فيقول الله تبارك وتعالى أنا الرحمن الرحيم واني شققت الرحم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكته الحجنة بفتح الحاء المهملة والجيم وتخفيف النون صنارة المغزل أي الحديدة العقفاء التي يعلق بها الخيط ثم يفتل الغزل والبتك القطع والبزار ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم اني بك فلا أقطع والامانة تقول اللهم اني بك فلا أخان والنعمة تقول اللهم اني بك فلا أكفر والبزار واللفظ له والبيهقي الطابع معلق بقائمة العرش فاذا اشتكت الرحم وعمل بالمعاصي واجترئ على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيأ وأخرج الشيخان من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت * وأخرجا أيضا من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ أي يؤخر وهو بضم أوله وتشديد ثالثه المهمل وبالهمز له في أثره أي أجله فليصل رحمه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأله في أثره فليصل رحمه رواه البخاري والترمذي ولفظه قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منسأة في الاثر أي بها الزيادة في العمر وعبد الله بن الامام أحمد في زوائد المسند والبزار باسناد جيد والحاكم من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه والبزار باسناد لا بأس به والحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال مكتوب في التوراة من أحب أن يزاد في عمره وفي رزقه فليصل رحمه وأبو يعلى ان الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور وأبو يعلى باسناد جيد عن رجل من خثعم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه فقلت أنت الذي تزعم أنك رسول الله قال نعم قال قلت يارسول الله أي الاعمال أحب الى الله قال الايمان بالله قلت يارسول الله ثم مه قال ثم صلة الرحم قلت يارسول الله أي الاعمال أبغض الى الله قال الاشراك بالله قلت يارسول الله ثم مه قال قطيعة الرحم قلت يارسول الله ثم مه قال ثم الامر بالمنكر والنهي عن المعروف والبخاري ومسلم واللفظ له عرض اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يارسول الله أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار فكف النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر في أصحابه ثم قال لقد وفق هذا أو لقد هدي قال كيف قلت فأعادها فقال النبي صلى الله عليه وسلم تعبد الله

لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم دع الناقة وفي رواية وتصل ذا رحمك فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما أمرته به دخل الجنة والطبراني باسناد حسن ان الله ليعمر بالقوم الديار وينمي لهم الاموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم قيل وكيف ذاك يارسول الله قال بصلتهم أرحامهم وأحمد بسند رواته ثقات الا أن فيه انقطاعا انه من أعطى الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمرن الديار ويزدن في الاعمار وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقي يارسول الله من خير الناس قال أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصاني أن لا أنظر الى من هو فوقي وان أنظر الى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم وأوصاني أن أصل رحمي وان أدبرت وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وان كان مرا وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة والشيخان وغيرهما عن ميمونة رضي الله عنها انها أعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يارسول الله اني أعتقت وليدتي قال أوفعلت فقالت نعم قال اما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك وابن حبان والحاكم أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال اني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال فبرها والبخاري وغيره ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها والترمذي وقال حسن لا تكونوا امعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساؤا أن لا تظلموا والامعة بكسر ففتح وتشديد فمهملة هو الذي لا رأي له فهو يتبع كل واحد على رأيه ومسلم يارسول الله ان لي قرابة أصل ويقطعوني وأحسن اليهم ويسيئون الي وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال ان كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل أي بفتح وتشديد الرماد الحار ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح أي الذي يضمر عداوته في كشحه أي خصره كناية عن باطنه وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم وتصل من قطعك والبزار والطبراني والحاكم وصححه واعترض بأن فيه واهيا ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وماهي يارسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فاذا فعلت ذلك يدخلك الجنة وأحمد باسنادين أحدهما رواته ثقات عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت يارسول الله أخبرني بفواضل الاعمال فقال ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك زاد الحاكم ألا ومن أراد أن يمد في عمره ويبسط في رزقه فليصل رحمه والطبراني بسند محتج به ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك والطبراني ان أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك والبزار ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات وفي رواية للطبراني ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يارسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وابن ماجه أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم والطبراني ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه

العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وان أعجل البر ثوابا الصلة الرحم حتى ان أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم اذا تواصلوا

﴿الباب الرابع والعشرون في بر الوالدين﴾

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله ومسلم وغيره لا يجزى ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ومسلم أقبل رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الاجر من الله تعالى قال فهل من والديك أحد حي قال نعم بل كلاهما حي قال فتبتغي الاجر من الله قال نعم قال فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما وأبو يعلى والطبراني بسند جيد أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد قال أمي قال فاسأل الله في برها فاذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد والطبراني يارسول الله اني أريد الجهاد في سبيل الله قال أمك حية قال نعم قال صلى الله عليه وسلم الزم رجلها فثم الجنة وابن ماجه يارسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك وابن ماجه والنسائي واللفظ له والحاكم وصححه يارسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال هل لك من أم قال نعم قال الزمها فان الجنة عند رجليها وفي رواية صحيحة ألك والدان قال نعم قال الزمهما فان الجنة تحت أرجلهما والترمذي وصححه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلا أتاه فقال ان لي امرأة وان أمي تأمرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فأضع ذلك الباب أواحفظه وابن حبان في صحيحه ان رجلا أتى أبا الدرداء فقال ان أبي لم يزل بي حتى زوجني وانه الآن يأمرني بطلاقها قال ما أنا بالذي آمرك أن تعق والديك ولا بالذي آمرك أن تطلق زوجتك غير أنك ان شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك ان شئت أودع قال وأحسب عطاء قال فطلقها وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان تحتي امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها فأبيت فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها وأحمد بسند صحيح من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه وأبو يعلى وغيره وصححه الحاكم من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وفي رواية للترمذي وقال حسن غريب لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر والحاكم وصححه عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض والطبراني باسناد حسن بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم ومسلم رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه أي لصق بالرغام وهو التراب من الذل قيل من يارسول الله قال من أدرك والديه عنده الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة أو لا يدخلانه الجنة والطبراني بأسانيد أحدها حسن صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال آمين آمين آمين ثم قال أتاني جبريل عليه السلام فقال يامحمد من أدرك أحد أبويه ثم لم يبره فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين فقال يامحمد من

أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين قال ومن ذكرت عنده
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه ابن حبان في صحيحه الا أنه
قال فيه ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه
الحاكم وغيره وقال في آخره فلما رقيت الثالثة قال بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه
الجنة قلت آمين ورواه الطبراني وفيه من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما دخل النار فأبعده الله
وأسحقه قلت آمين وأحمد من طرق أحدها حسن من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ومن أدرك
أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله زاد في رواية وأسحقه والشيخان يارسول الله من أحق الناس بحسن
صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك والشيخان عن أسماء
بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدمت علي أمي وهي راغبة أي عن الاسلام أو فيما عندي
أفأصل أمي قال نعم صلي أمك وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم رضا الله في رضا الوالد
أو قال الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين أو قال الوالدين وفي رواية للطبراني طاعة الله في طاعة الوالد
أو قال الوالدين ومعصيته في معصية الوالد أو قال الوالدين وفي أخرى للبزار رضا الرب تبارك وتعالى في
رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين والترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه
والحاكم وقال صحيح على شرطهما أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال اني أذنبت ذنبا عظيما فهل
لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها وأبو داود وابن ماجه يارسول الله
هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما والاستغفار لهما وانفاذ
عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واكرام صديقهما ورواه ابن حبان في صحيحه بزيادة
قال الرجل ما أكثر هذا يارسول الله وأطيبه قال فاعمل به ومسلم ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقيه
رجل من الاعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت
على رأسه قال ابن دينار فقلنا أصلحك الله انهم الاعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر ان أبا
هذا كان ودود العمر بن الخطاب واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أبر البر صلة الولد أهل
ود أبيه وابن حبان في صحيحه عن أبي بردة رضي الله عنه قال قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال
أتدري لم أتيتك قلت لا قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يصل أباه في قبره
فليصل اخوان أبيه بعده وانه كان بين أبي عمر وبين أبيك اخاء وود فأحببت أن أصل ذلك وفي حديث
الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة ان ثلاثة نفر ممن كان قبلنا خرجوا يتماشون ويرتادون
لاهليهم فأخذهم المطر حتى أووا الى غار في الجبل فانحدرت على فمه صخرة فسدته فقالوا انه لا ينجيكم من هذه
الصخرة الا أن تدعوا بصالح أعمالكم وفي رواية فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله عز وجل
صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها وفي أخرى فقال بعضهم لبعض عفا الاثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم
الا الله فادعوا الله بأوثق أعمالكم فقال أحدهم اللهم انه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق
قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين
فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر
فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الصخرة

ففرجت شيأ لا يستطيعون الخروج وفي رواية ولي صبية صغار كنت أرعى فاذا رحت عليهم حلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي وانه نأى بي طلب شجرة يوما فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء وذكر الآخر عفته عن الزنا بابنة عمه والآخر تنميته لمال أجيره فانفرجت عنهم كلها وخرجوا يتماشون

﴿الباب الخامس والعشرون في الزكاة والبخل﴾

قال الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة سماهم المشركين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق به عنقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر المهاجرين خمس خصال ان ابتليتم بهن ونزلت بكم أعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الاوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم أقسم الله تعالى لا يدخل الجنة بخيل وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والبخل فان البخل دعا قوما فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله اللؤم فحفه بالبخل والمال (وسئل) الحسن رضي الله عنه عن البخل قال هو أن يرى الرجل ما أنفق تلفا وما أمسك شرفا وأصل البخل حب المال وطول الامل وخوف الفقر وحب الولد ففي الحديث الولد مجبنة مبخلة ومن الناس من لا يسمح بأداء زكاة ماله ولا بالاحسان الى نفسه وعياله وانما لذته ورغبته في رؤية دنانيره وكونها في قبضته وهو عالم أنه يموت وفي مثله يقول الشاعر

أأخي ان من الرجال بهيمة * في صورة الرجل اللبيب المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر

﴿وقال آخر﴾

البخل داء دوي لا يليق بذي * مروءة لا ولا عقل ولا دين
من آثر البخل عن وفر وعن جدة * فقد لعمري أضحى وهو مغبون
يابؤس من منع الدارين حظهما * فباع دنياه بعد الدين بالدون

﴿وقال آخر﴾

اذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب * قريبا ولم يجبر به حال معدم
فعقباه ان تحتازه كف وارث * وللباخل الموروث عقبى التندم

وقال

وقال بشر لقاء البخيل كرب والنظر اليه يقسي القلب وكانت العرب تتعاير بالبخل والجبن وقال الشاعر

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت * على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق

﴿وقال آخر﴾

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري باهله * فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

وكفى بالبخيل خسة أن يجمع لغيره ويحتمل معرة ضيره ولا ينال لذة وفره وخيره وفي مثله يقول وكيع

لئيم لا يزال يروف ــــــــــرا * لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

وفي الحكم المنثورة بشر مال البخيل بحادث أو وارث وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى ان أعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة ولقي يحيي عليه السلام ابليس فقال له يا ابليس أخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الي المؤمن البخيل وأبغض الناس الي الفاسق السخي قال له لماذا قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيي لما أخبرتك

﴿الباب السادس والعشرون في طول الامل﴾

قال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع الهوى وان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وقال صلى الله عليه وسلم أنا زعيم لثلاثة بثلاثة للمكب على الدنيا والحريص عليها والشحيح بها بفقر لا غنى بعده وشغل لا فراغ منه وهم لا فرح معه وعن أبي الدرداء رضي الله عنه انه أشرف على أهل حمص فقال ألا تستحيون تبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون وتجمعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعيدا فأصبحت مساكنهم قبورا وآمالهم غرورا وجمعهم بورا قال علي بن أبي طالب لعمر رضي الله عنهما اذا أردت أن تلقى صاحبيك فارقع قميصك واخصف نعلك وأقصر أملك وكل دون الشبع (وأوصى) آدم ابنه شيثا عليهما السلام بخمسة أشياء وأمره أن يوصي بها أولاده من بعده أولها قال له قل لاولادك لا تطمئنوا الى الدنيا فاني اطمأننت بالجنة الباقية فأخرجني الله منها والثاني قل لهم لا تعملوا بهوى نسائكم فاني عملت بهوى امرأتي وأكلت من الشجرة فلحقتني الندامة والثالث قل لهم كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فاني لو نظرت عاقبة الامر لم يصبني ما أصابني والرابع اذا اضطربت قلوبكم بشيء فاجتنبوه فاني حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبي فلم أرجع فلحقني الندم والخامس استشيروا في الامور فاني لو شاورت الملائكة لم يصبني ما أصابني وقال مجاهد قال لي عبد الله بن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك قبل سقمك فانك لا تدري ما اسمك غدا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه أيريد كلكم أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا الامل واستحيوا من الله حق الحياء قالوا كلنا نستحي من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياء

ولكن الحياء من الله تعالى ان تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما وعى والرأس وما حوى ومن يشتهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا فهنالك استحياء العبد من الله حق الحياء وبها يصيب العبد ولاية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم أول صلاح هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل والامل وروى عن أم المنذر انها قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وماذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون وعن أبى سعيد الخدرى قال اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من اسامة المشترى الى شهر ان أسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ماطرفت عيناى الا ظننت ان شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يابنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يارسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لا أبلغه وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ماهذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل (وقيل) بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد عليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذ قالت لى نفسى الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لى نفسى والله لا بد لك من عيش مابقيت فقمت الى مسحاتى

﴿الباب السابع والعشرون فى ملازمة الطاعة وترك الحرام﴾

معنى الطاعة القيام بفروض الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده قال مجاهد فى قول الله عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا هو ان يعمل العبد بطاعة الله تعالى واعلم ان أصل الطاعة العلم بالله والخوف من الله والرجاء فى الله والمراقبة لله فاذا تجرد العبد عن هذه الخصال لم يدرك حقيقة الايمان لانه لا تصح الطاعة لله الا بعد العلم به والايمان بوجوده عالما قادرا لا يحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال اعرابى لمحمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم هل رأيت الله حين عبدته قال لم أكن أعبد من لم أره قال كيف رأيته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقيقة الايمان لا يدرك بالحوس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور فى القضيات ذلك الله لا اله الا هو رب الارض والسموات فقال الاعرابى الله أعلم حيث يجعل رسالاته (سئل) بعض العارفين عن علم الباطن فقال هو سر من أسرار الله يقذفه فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا (روى) أن كعب الاحبار قال لو أن بنى آدم يعلمون من اليمين منه مثقال حبة من عظمة الله عز وجل لمشوا على الماء والريح اهـ فسبحان من جعل الاقرار بالعجز عن ادراك معرفته ايمانا كما جعل اقرار المنعم عليه بالعجز عن ادراك شكره شكرا قال محمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
ومامنهما الا له فيه نعمة * تضيق لها الاوهام والبر والبحر

واذا ثبت العلم بالربوبية تعين الاقرار بالعبودية واذا تقرر الايمان فى القلب وجبت الطاعة للرب والايمان نوعان ظاهر وباطن فالظاهر النطق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب والمؤمنون متباينون فى منازل القرب متفاوتون فى درجات الطاعة والايمان جامع لهم بقدر حظ كل واحد منهم من الموهبة وتمكنه من علو المرتبة فى الاخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه فأما الاخلاص فأن لا يطلب العبد بما يعمل جزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فان كانت الطاعة رجاء المثوبة وخوفا من العقوبة فذلك العبد لا يكون كامل الاخلاص فانه لنفسه سعى روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يكن أحدكم كالكلب السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل وقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وانما تعينت علينا عبادته ووجبت طاعته بما سبق له من الفضل علينا وتقدم له من الاحسان الينا فضلا عن كونه أمرنا بها ورتب الجزاء عليها فضلا ويجازى من ضل عنها عدلا وأما التوكل فهو الاعتماد على الله سبحانه عند الحاجة والاستناد اليه مع الضرورة والثقة به عند النازلة مع سكون النفس وطمأنينة القلب فالمتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والاسباب تحت حكم الخالق المدبر لا يركنون لآباء ولا أبناء ولا أموال ولا صنائع بل صرفوا بهديه جميع الامور اليه ولم يعتمدوا فى حال من الاحوال الا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضا فهو طيب النفس بما يجرى به المقدور قال بعض العلماء أقرب الناس الى الله أرضاهم بما قسم لهم ومن كلام الحكماء رب مسرة هى الداء ومرض هو الشفاء كما قال

كم نعمة مطوية * لك بين أنياب النوائب
ومسرة قد أقبلت * من حيث ترتقب المصائب
فاصبر على حدثان دهرك فالامور لها عواقب
ولكل كرب فرجة * ولكل خالصة شوائب

وحسبنا قول الله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم (واعلم) انه لن يستكمل العبد طاعة ربه الا برفض الدنيا وفى بعض الحكم ابلغ المواعظ مالم يحجبها عن القلب حاجب وهذه الحجب انما هى عوارض الدنيا ومن كلامهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعة قال أبو الوليد الباجى

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أكره الموت قال ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان المرء عند ماله وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال البر فى ثلاثة فى النطق والنظر والصمت فمن كان منطقه فى غير ذكر الله فقد لغا ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة فى أحوالها وترك التمنى بلذاتها فان الفكر بعث الارادة لتعلق النفس بالفكرة (وليحذر) من ارسال النظر فيما لا يحل فانه سهم صائب وسلطان غالب قال عليه الصلاة والسلام النظر سهم من سهام ابليس فمن تركها مخافة الله تعالى أعقبه ايمانا يجد طعمه فى قلبه ومن

كلام الحكماء من أطلق طرفه كثر أسفه ادمان النظر يكشف الخبر ويفضح البشر ويطول به المكث في سقر احفظ عينيك فانك ان أطلقتهما أوقعتاك في مكروه وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك (قيل لافلاطون) أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا يستقل الا بهما ولا ينهض الا بقوتهما وربما قص أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة وقال محمد ابن ضوء كفى بالعبد نقصانا عند الله وضعة عند ذوي العقول أن ينظر الى كل ما يسنح له (رأى بعض الزهاد) رجلا يضحك الى غلام فقال له يا خرب العقل والقلب ويا خرب الطرف أما تستحي من كرام كاتبين وملائكة حافظين يحفظون الافعال ويكتبون الاعمال وينظرون اليك ويشهدون عليك بالبلاء الظاهر والغل الدخيل المخامر الذي أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالي من وقف عليه ونظر من الخلق اليه وللقاضي الارجاني

تمتعتما يا ناظري بنظرة * فاوردتما قلبي أشر الموارد
أعيناي كفا عن فؤادي فانه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

وقال علي كرم الله وجهه العيون مصائد الشيطان والعين أنفذ الجوارح سرعة وأشدها صرعة فمن اتبع جوارحه نفسه في طاعة ربه فقد وصل أمله ومن أتبع جوارحه نفسه في نيل لذته فقد أحبط عمله وأنشدوا

اذا ما صفت نفس المريد لطاعة * ولما تشبها للمعاصي شوائب
وأتبعها فعل الجوارح كلها * فتلك عليه أنعم ومواهب
تلقته في دار الخلود كرامة * اذا جب للعاصي سنام وغارب

قال عبد الله بن المبارك أصل الايمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج الى العمل به ونجا من الخلود في النار ومن اجتنب المحارم خرج الى التوبة ومن أخذ القوت من حله خرج الى الورع ومن أدى الفرائض صح اسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبعات ومن رد المظالم نجا من القصاص ومن أتى بالسنن زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عمله وروي عن أبي الدرداء انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أوصني قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم ليوم وعد نفسك من الموتى (وليحذر) من الاعجاب بالعمل فانه من أعظم الآفات وأحبط للاعمال فان المعجب بعمله ممتن على ربه وما يدريه أقبل منه ثم رد عليه ورب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (وليحذر أيضا) من الرياء قيل في قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا أعمالا كانوا يرونها في الدنيا من الحسنات فبدت لهم يوم القيامة من السيآت وكان بعض السلف اذا قرأ هذه الآية قال ويل لاهل الرياء وقيل أيضا في قوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي لا يظهرها رياء ولا يخفيها حياء روي عن ابن مسعود أن آخر ما نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال محمد بن بشير

مضى أمسك الادنى شهيدا معدلا * ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت اساءة * فثن باحسان وأنت حميد
ولا ترج فعل الخير منك الى غد * لعل غدا يأتي وأنت فقيد

(وقال غيره)

تعجل الذنب بما تشتهي * وتأمل التوبة في قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة * ماذا لذا فعل الحازم العاقل

وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر على ما قد فات وفي بعض الحكم المنثورة من صبر على البلاء وصل الى الوفاء قال

عليك بالصبر ان نابتك نائبة * من الزمان ولا تركن الى الجزع
وان تعرضت الدنيا بزينتها * فالصبر عنها دليل الخير والورع
فجاهد النفس قسرا فيهما أبدا * تلق الذي ترتجيه غير ممتنع

(وقال آخر)

الصبر مفتاح ما يرتجى * ولم يزل دائما يعين
فاصبر وان طالت الليالي * فربما ساعد الحرون
وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون

(وقال آخر)

الصبر أوثق عروة الايمان * ومجنة من نزغة الشيطان
الصبر فيه عواقب محمودة * والطيش فيه عواقب الخسران
فاذا لقيت من الزمان ملمة * وكذاك فينا عادة الازمان
فتدرع الصبر الجميل تيقنا * ان التصبر رائد الرضوان

والصبر له فروع صبر على الفرائض بالمواظبة عليها بكمالها في أحب أوقاتها وصبر على النوافل وصبر على أذى الاصحاب والجار وصبر على الامراض وصبر على الفقر والصبر عن المعاصي وعن الشهوات وعن الشبهات وعن فضول جميع جوارح البدن وغير ذلك

(الباب الثامن والعشرون في بيان ذكر الموت)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات معناه تنغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال ذلك لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم الحق المؤمن حقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامة الفرائض قال عطاء الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت

وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذى نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضي الله عنهما أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وقال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا وقال الربيع بن خيثم ما غائب ينتظره المؤمن خير اله من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحدا وسلوني الى ربي سلا (وكتب) بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال ابراهيم التيمي شيآن قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدى الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية رضي الله عنها ان امرأة اشتكت الى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال أنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الداراني قلت لام هرون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته (قال أبو موسى التميمي) توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن رضي الله عنه فقال الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال

أخاف وراء القبر ان لم تعافني * أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا جاءني يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا

قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور فى ظلماتها
ومن المكرم منكم فى قعرها * قد ذاق برد الامن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد * لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة * يفضى الى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب * فى حفرة يأوى الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه * فى شدة التعذيب من لدغاتها

وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فأين المعظم والمحتقر
وأين المذل بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى * فتمحو محاسن تلك الصور
فياسائلى عن أناس مضوا * أما لك فيما ترى معتبر

﴿ووجد مكتوب على قبر﴾

تناجيك أجداث وهن صموت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

﴿وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب﴾

عر أقاربى جنبات قبرى * كأن أقاربى لم يعرفونى
ذووا الميراث يقتسمون مالى * وما يألون ان جحدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا * فيالله أسرع ما نسونى

﴿ووجد على قبر مكتوبا﴾

انا الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا فى النقص منغمسا * وأنت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لعزته * ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به * عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس

﴿ووجد على قبر مكتوبا﴾

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كافراس الرهان
فلما بكيت وفاض دمعى * رأت عيناى بينهم مكانى

﴿ووجد على قبر طبيب مكتوبا﴾

قد كان لسان لى قائل * فقد صار لقمان الى رمسه

فأين من يوصف من طبه * وحذقه فى الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره * من كان لا يدفع عن نفسه

﴿ووجد على قبر آخر مكتوبا﴾

ياأيها الناس كان لى أمل * قصر بى عن بلوغه الاجل
فليتق الله ربه رجل * أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينتقل

﴿الباب التاسع والعشرون فى ذكر السموات والاجناس المختلفة﴾

روى أول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بنظر الهيبة فذابت وارتعدت من خوف ربها فصارت ماء ثم نظر اليها بنظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء على حاله يرتعد الى يوم القيامة وذلك قوله تعالى وكان عرشه على الماء ثم تلاطم وتموج وصعدت منه أدخنة وارتفع بعضها مترا كما على بعض وكان له زبد فخلق الله تعالى منه السموات والارض طباقا فكانتا رتقا فخلق الريح فيها ففتق بين أطباق السماء وأطباق الارض كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله ثم استوى الى السماء وهى دخان قال أهل الحكمة انما خلق الله تعالى السماء من دخان ولم يخلقها من بخار لان الدخان خلق متماسكا الآجزاء يستقر منتهاه والبخار متراجع وذلك من كمال علمه سبحانه وحكمته ثم نظر تعالى الى الماء بعين الرحمة فجمد كما جاء فى الحديث ﴿فائدة﴾ بين سماء الدنيا والارض وكذا بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك وقيل ان السماء الدنيا أشد بياضا من اللبن وانما اخضرت من خضرة جبل قاف واسم تلك السماء رقيعة والثانية من حديد تتلألأ نورا واسمها فيدوم أو ماعون والثالثة من نحاس يقال لها ملكوت أو هاريون والرابعة من فضة بيضاء يكاد نورها يخطف الابصار واسمها الزاهرة والخامسة من ذهب أحمر يقال لها المزينة أو المسهرة والسادسة من جوهرة تتلألأ نورا واسمها الخالصة والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها اللابية أو الدامعة وفيها البيت المعمور له أربعة أركان ركن من ياقوتة حمراء وركن من زبرجدة خضراء وركن من فضة بيضاء وركن من ذهب أحمر وورد أن البيت المعمور من العقيق يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون اليه الى يوم القيامة والمعتمد أن الارض أفضل من السماء لان الانبياء خلقوا منها ودفنوا فيها وأفضل طبقات الارض أعلاها المذكور ولانه محل انتفاع العالم (وعن ابن عباس) أفضل السموات هى التى يلى سقفها عرش الرحمن وهى الكرسى لقربها من العرش ولان جميع النجوم المنتفع بها مثبتة فيها غير السبعة السيارة أما هى فثبتة فى السموات السبع فزحل فى السابعة وهو ليوم السبت والمشترى فى السادة وهو ليوم الخميس والمريخ فى الخامسة وهو ليوم الثلاثاء والشمس فى الرابعة وهو ليوم الاحد والزهرة فى الثالثة وهى ليوم الجمعة وعطارد فى الثانية وهو ليوم الاربعاء والقمر فى الاولى وهو ليوم الاثنين (نكتة لطيفة) من عجيب صنع البارى تبارك وتعالى أن خلق السموات السبع من دخان مع كون كل سماء لا تشبه صاحبتها وأنزل من السماء ماء فأخرج به من أنواع النبات والاثمار المختلفة اللون والطعم كما قال تعالى ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وخلق أولاد آدم على طبقات شتى منهم الابيض والاسود والسهل والحزن والمؤمن

والكافر والعالم والجاهل مع ان الاصل آدم فسبحان من أتقن كل شئ خلقه

(الباب الثلاثون في بيان الكرسي والعرش وبيان الملائكة المقربين والارزاق والتوكل)

قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض قيل كرسيه مجاز عن علمه وقيل ملكه وقيل الفلك المعروف روى عن علي كرم الله وجهه ان الكرسي لؤلؤة وطوله لا يعلمه الا الله تعالى وفي الخبر ما السموات والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وأخرج ابن ماجه أن السموات في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش (وعن عكرمة) قال الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسي والعرش جزء من سبعين جزأ من نور الستور يعني بها الحجب وورد ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نورهم والعرش جسم نوراني علوي فوق الكرسي فهو غيره خلافا للحسن البصري قيل من ياقوتة حمراء وقيل من جوهرة خضراء وقيل من درة بيضاء وقيل من نور والاولى الامساك عن المطمع بحقيقته ويسميه الفلكيون بالفلك التاسع والفلك الاعلى وفلك الافلاك والفلك الاطلس أي الخالي من الكواكب اذ كلها على ما قال قدماء أهل الهيئة ثوابت في الفلك الثامن المسمى عندهم بفلك البروج وعند أهل الشرع بالكرسي والعرش سقف المخلوقات فلا شئ يخرج عن دائرته فهو منتهى علم العباد لا مجال للادراك وراءه ولا مطلب لطالب فوقه قال الله تعالى فان ولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصفه بالعظم لانه أعظم المخلوقات وقد تحقق صلى الله عليه وسلم بالتوكل كما أمر ولذا سمي في التوراة وغيرها بالمتوكل كيف والتوكل فرع التوحيد والمعرفة وهو صلى الله عليه سيد الموحدين ورأس العارفين ولا ينافي التوكل الاخذ في الاسباب كما قد يتوهم بل هو أيضا مأمور به فقد قال له صلى الله عليه وسلم اعرابي أأعقل ناقتي أم أتركها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا أي جياعا وتروح بطانا أي شباعا فأشار بقوله تغدو الى التسبب (حكاية) التقى ابراهيم بن أدهم وشقيق البلخي بمكة فقال له ابراهيم ما بدء أمرك الذي بلغك هذا قال مررت ببعض الفلوات فرأيت طيرا مكسور الجناحين في فلاة من الارض فقلت انظر من أين يرزق هذا فقعدت بحذائه فاذا أنا بطير قد أقبل في منقاره جرادة فوضعها في منقار الطير المكسور الجناحين فقلت لنفسي ان الذي قيض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يرزقني حيث كنت فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة فقال ابراهيم ولم لا تكون أنت الطير الصحيح الذي أطعم الطير العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها حتى يبلغ منازل الابرار فأخذ شقيق بيد ابراهيم فقبلها وقال أنت أستاذنا يا أبا اسحق ثم اذا تسبب الانسان فليجتهد أن لا ينظر الى أسبابه ولا يقف عندها بل يجعل مولاه مطمح نظره ومرمى قصده كالسائل يقصد الناس بوعاء في يده ولا ينظر اليه وانما ينظر الى الذين يعطونه وفي الحديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه (وقد قيل) لحذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن أدهم ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بعد البسملة أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل

معنى وكتب

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عارى

هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى

مدحى لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع الى الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقينى كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال مافعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصرانى فجئت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجىء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم ﴿فائدة﴾ وقال ابن عباس لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشى فلم يطيقوا فخلق مع كل واحد منهم مثل من فى السموات السبع من الملائكة فقال احملوا عرشى فلم يطيقوا فخلق مع كل منهم مثل من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الخلق فقال احملوا عرشى فلم يطيقوا فقال قولوا لاحول ولا قوة الا بالله فلما قالوها حملوه فنفذت أقدامهم فى الارض السابعة على متن الريح فلما لم تستقر أقدامهم على شئ تمسكوا بالعرش ولم يفتروا عن قولهم لاحول ولا قوة الا بالله خيفة أن ينقلب أحدهم فلا يعرف أين يهوى فهم حاملون للعرش وهو حاملهم والكل محمول بالقدرة وروى من قال اذا أصبح واذا أمسى حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه صادقا كان بها أو كاذبا وفى رواية كفاه الله ما أهمه من أمر آخرته ودنياه

﴿الباب الحادى والثلاثون فى ترك الدنيا وذمها﴾

الآيات الواردة فى ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الاشعرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يارسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك ان أفلت منى لم يفلت منى من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التى ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بنى اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضا يا معشر الحواريين انى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك الا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجىء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها (وروى) ان سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بنى اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شئ وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما أهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لاحد ولا يدوم لك أحد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من قبورهم الا النور يسعى أمامهم

والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتي يالاشئ اني لم أرضك لهم في الدنيا أأرضاك لهم اليوم وروى في أخبار آدم عليه السلام انه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شئ من أطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أي شئ تريد قال آدم أريد أن أضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يارسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيأ يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال الهي جعلت لكل شئ مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى اليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه (وقيل) أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى مالك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي ياموسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة

فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف
فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء
قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن
تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال
أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات
الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا
فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها
موتى في الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك
لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أنا لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى اليه اذا كان الليل فنادهم
يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما
حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قالوا بحبنا الدنيا وطاعتنا
أهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قالوا حب الصبي لامه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا
وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد
قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم
فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح
الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس كانت ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء أعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه
وسلم انه حق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من الذي يبني على موج
البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال
ابغضوا الدنيا يحببكم الله تعالى (وقال أبو الدرداء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو
تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا
راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر الآخرة الامل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم
وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون
ولا تناصحون وأنتم اخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر
لتحاببتم ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه
ويعينه على أمر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما
توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها أملك لاموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون
العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه
فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم فأتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم
فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم ما لكم تفرحون باليسير
من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم

وتسمونها المصائب وتعيبون فيها المال ثم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم انى لارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الامل وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت أن الله تعالى أراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسي وعليكم (وقال عيسى) عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا وفى معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * وما أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدى دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب (وأوحى) الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ورجع وهو يبكى فقال موسى يا رب عبدك يبكى من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال علىّ رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها (وقال الحسن) رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره (وقال لقمان عليه السلام) لابنه يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتى فى هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (وقال بعض الحكماء) انك لن تصبح فى شىء من الدنيا الا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك فى أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفى ذلك قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسرّه * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها اما أن تزيد واما أن تنقص (وقال سفيان) أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها فقد وضعت فى غير أهلها وقال أبو سليمان الدارانى من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر

وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لأبي حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها (وقال يحيى بن معاذ) الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى (وقال أبو حازم) اياكم والدنيا فانه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفي ذلك قيل

وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع

و زار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيأ أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

(وقيل أيضا في ذلك)

أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما

كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ماقد بناه تهدما

(وقيل أيضا في ذلك)

هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذلك الى انتقال

وما دنياك الا مثل فيء * أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا (وقال مطرف بن الشخير) لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وفي ذلك قيل

ياخاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم

ان التي تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وفي ذلك قيل

اذا امتحن الدنيا اللبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وقيل أيضا)

ياراقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

أفنى القرون التي كانت منعمة * كر الجديدين اقبالا وادبارا

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك * قد كان في الدهر نفاعا وضرارا

يا من يعانق دنيا لا بقاء له * يمسي ويصبح في دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها * فينبغي لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى أن لا يعبدوا الاوثان وانما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن فى حلالها الحساب وفى حرامها العقاب وفى متشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال أبو سليمان الداراني اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى احداهما تسخط الاخرى (وقال الحسن) والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول فى رجل أتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعني يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره (وقال الفضيل) لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه (وقيل) لما قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت الى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها (وقال سعيد بن مسعود) اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو ابن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذى عليه أكثر من الذى له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها ايا كم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه (وكتب الحسن) الى عمر بن

عبد

عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل (وقال الفضيل بن عياض) الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضي الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال أبو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد ألصق الله اليه شيأ يسوءك (وقال الحسن) لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه (وقيل لبعض العباد) قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد بأهنأ منها لمن أهانها وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد أعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الارض الا باذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد ابن المنكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا أعظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يالاشيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة وضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها (وقال الجنيد) كان الشافعي رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخا له في الله وخوفه بالله فقال يا أخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله

وارض برزق الله لاتتسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فيء زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك (وقال ابراهيم بن أدهم لرجل) أدرهم فى المنام أحب اليك أم دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت لان الذى تحبه فى الدنيا كأنك تحبه فى المنام والذى لاتحبه فى الآخرة كأنك لاتحبه فى اليقظة وعن اسمعيل ابن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا ياخنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا يبلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن (وقال بندار) اذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون فى الزهد فاعلم انهم فى سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعنى الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لاحد لقيمته وقال على كرم الله وجهه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال وان المرأة لتزين أحسن شئ منها ويراد أقبح شئ منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم

﴿الباب الثانى والثلاثون فى ذم الدنيا أيضا﴾

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أو هل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا بأعمالك (وقال بعضهم) لبعض الملوك ان أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتى سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعه

بشيء هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بيناهي تضحك صاحبها اذ أضحكت منه غيره وبيناهي تبكي له اذ أبكت عليه وبيناهي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ماذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا (وكتب) الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوفت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه الضار في أهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدري ما هو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها اذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه مليكه فزواها عن الصالحين اختبارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز أنه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلائي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الارض أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الارض أحد أغنى مني (وقال وهب بن منبه) لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبنكما ما تمتع به منها فانما هو زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائي اني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي

الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وانى لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن منازل الغرة وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما يتزين لى أوليائى بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى اياه يأملون ومجدهم الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل مافيها الى زوال وهى بين أهلها دول وسجال لاتدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها فى رخاء وسرور اذاهم منها فى بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لايدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة فى القبور اللاطية الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لايستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على مابينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ماصاروا اليه من البلا والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل مافى الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد (وقال بعض الحكماء) الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لأمر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم ارشدنا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك لان مامضى عنك فقد فاتك ادراكه ومالم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته

وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور * وخطب عمر ابن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى فما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل * وقال على كرم الله وجهه فى خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم فى سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى الى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأوليائه وانها عنده حقيرة ذليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفى وتركوا ما يلهى لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون اليها بأعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

(الباب الثالث والثلاثون فى فضل القناعة)

اعلم أنه ينبغى أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمله الى يومه أو الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الآدمى على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبى واقد الليثى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوحى اليه أتيناه يعلمنا مما أوحى اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب أن يكون له ثان وان كان له الثانى لاحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال أبو موسى الاشعرى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الامل

وحب المال أوكما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم مامن أحد فقير ولا غني الا ود يوم القيامة انه كان أوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروى ان موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الانصاري أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني وأوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في أيدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله اياه وقال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل

العيش ساعات تمر * وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه * واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد وقال سفيان خير دنياكم مالم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك كلها لم يكن لك منها الا القوت واذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق (وكتب بعض بني أمية) الى أبي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء أي شئ أسر للعاقل وأي شئ أعون على دفع الحزن فقال أسرها اليه ما قدم من صالح العمل وأعونه له على

دفع

أدفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفي ذلك قيل

أرفه ببال فتى أمسى على ثقة * ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في دهره شيأ يؤرقه

﴿وقد قيل أيضا﴾

حتى متى أنا في حل وترحال * وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا * عن الاحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لا يخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت أتاني الرزق في دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه ألا أخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ما أدري أيحل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل

أراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكي أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفي من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلي أما واحدة فأعلمك وأنا في يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل تقول يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدني

اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى ينفتح لك بابها

فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشئ يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شئ ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن أحبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك

﴿الباب الرابع والثلاثون في فضل الفقراء﴾

قال صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبي ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما علمت أني اذا نظرت الى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بعني دقيقا الى هلال رجب قال فأتيته فقال لا والله الا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال باسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شئ ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها

الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء والنساء وفي لفظ آخر فقلت أين الاغنياء فقيل حبسهم الجد وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ماشأنهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر رأيته دخل الجنة زحفا وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضي الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه اني لاحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الاسامي اليه صلوات الله عليه أن يقال له يامسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لانهم شكوا اليه التأذي برائحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الاغنياء منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم واياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن أم مكتوم أما من استغنى فأنت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج ياعبدي الى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة قالوا يارسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فاذا بلال ونظرت في أعلاها فاذا فقراء أمتي وأولادهم ونظرت في أسفلها فاذا فيه من الاغنياء والنساء قليل فقلت يارب ماشأنهم قال أما النساء فأضر بهن الاحمران الذهب والحرير وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني قال يارسول الله والله ما وصلت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني لا أراك

فقلت ولم قال كنت أحاسب عيالى فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيأ فقال لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وقال عمران بن حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بأبى أنت وأمى يارسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يارسول الله قال أنا ومن معى قالت ومن معك يارسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا ما على الا عباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى فألقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى أنى لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا ابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث وانى لأكرم على الله منك ولو سألت ربى لأطعمنى ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة وروى عن على كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ذو الدرهمين أشد حبسا أو قال أشد حسابا من ذى الدرهم وأرسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرينى درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلى ويبكى الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل فى غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد (وقيل) جاء فقير الى مجلس الثورى رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغنى أذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير أعز منه فى مجلس الثورى رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك

للفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها المرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتيني لفعلت وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا فالاول القانع وهذا الراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه أن الحريص لاثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لايخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وروي عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال مامن أحد غني ولافقير الا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا وأوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد أفضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون لعطائي الراضون بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي وأما الزاهد فسنذكر فضله ان شاء الله تعالى * وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مامن يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه مامن أحد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لايحزنه ذلك ويح ابن آدم ماينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا

بهذا فقال ألا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد ابن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقواما أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق الآية وكان أبوذر رضى الله عنه يوما جالسا فى الناس فأتته امرأته فقالت له أتجلس بين هؤلاء والله ما فى البيت هفة ولا سفة فقال ياهذه ان بين أيدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهى راضية وقال ذوالنون رحمه الله أقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس عما فى أيدى الناس ويروى أن الله عز وجل قال فى بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن اليك وقد قيل فى القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز فى اليأس
واستغن عن ذى قربى وذى رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس

وقد قيل فى هذا المعنى أيضا

ياجامعا مانعا والدهر يرمقه * مقدرا أى باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته * أغاديا أم بها يسرى فتطرقه
جمعت مالا فقل لى هل جمعت له * ياجامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة * أن الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

﴿ الباب الخامس والثلاثون فى اتخاذ ولى من دون الله سبحانه وتعالى وفى بيان العرصات ﴾

قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية قال بعض المفسرين أجمع أهل اللغة على أن الركون مطلق الميل والسكون يسيرا أو كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد الركون هنا الادهان وذلك أن لا ينكر عليهم كفرهم وعن عكرمة لا تصطنعوهم والظاهر من الآية عموم النهى عن الركون الى المشركين وفسقة المسلمين وقال النيسابورى فى تفسيره قال المحققون الركون المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة أو تزيين طريقتهم وتحسينها عند غيرهم ومشاركتهم فى شىء من أبواب المظالم فأما مداخلتهم لدفع شىء من الضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة فى الركون قال وأقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده اهـ قلت ولقد صدق فى حسم مادة الركون اليهم أولى سيما فى هذه الازمان التى لا يمكن فيها انكار المنكر والامر بالمعروف مع ما فى الركون اليهم من الغرر والغرور واذا كان حال الميل فى الجملة الى من وجد منه ظلم ما فى الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين فى الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على صحبتهم ومصادقتهم ويلقى شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم

ويبتهج بالتزين بزيهم ويعد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوضة خفيف بمعزل عن ان تميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وروى مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك ان لم يعطك أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يحرقك أصابك من دخانه قال الله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الآية وقال صلى الله عليه وسلم من عظم غنيا لغناه فقد ذهب ثلثا دينه وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش وقال الله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم يعني في عرصات القيامة وقد اختلف المفسرون في تعيين الامام الذي يدعى كل أناس به فقال ابن عباس وغيره انه كتاب كل انسان الذي فيه عمله ان يدعى كل انسان بكتاب عمله ويؤيد هذا قوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه الآية وقال ابن زيد الامام هو الكتاب المنزل فيقال يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن وقال مجاهد وقتادة امامهم نبيهم فيقال هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه المراد بالامام امام عصرهم فيدعى أهل كل عصر بامامهم الذي كانوا يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان وروى الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستين ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول ابشروا لكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال فيأتيهم فيقولون اللهم أخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا وقال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها الى آخر السورة قال ابن عباس رضي الله عنهما أي تحركت من أسفلها وأخرجت ما في جوفها من الاموات والدفائن وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وأمة بكل عمل عمل على ظهرها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحفظوا من الارض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا الا وهي مخبرة أخرجه الطبراني

(الباب السادس والثلاثون في النفخ والفزع والحشر من المقابر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالاذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات ومن في الارض أي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض

روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى
فى البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى
فاذا هم قيام ينظرون على أرجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين بعث أتى صاحب
الصور فأهوى به الى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة فتفكر فى
الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم
من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت فى الدنيا من
المترفهين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض فى ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم
يوطئون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رؤسها مختلطة
بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول
النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم
أقبلت الشياطين والمردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله
تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر فى حالك وحال قلبك هنالك
ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا الى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف
لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يختفى الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل
هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم
من أقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هى النفخة الاولى والرادفة هى الثانية
وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لاحد قال الراوى
والعفرة بياض ليس بالناصع والنقى هو النقى عن القشر والنخاله ومعلم أى لا بناء يستر ولا تفاوت يرد
البصر ولا تظنن أن تلك الارض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها الا فى الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها
وتمد مد الاديم العكاظى أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات
تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا
الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الارض لخمود سراجها فبيناهم
كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على
حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها فى سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم
تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال
كالعهن وانتشر الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث
الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم
راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك لكل
امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات
كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال أبو هريرة
رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة

وعلى وجوههم فقال رجل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم * فى طبع الآدمى انكار كل مالم يأنس به ولولم يشاهد الانسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشى على غير رجل والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك أن تنكر شيأ من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس مافى الدنيا فانك لولم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد انكارا لها فاحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عار يا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحال فانها عظيمة * ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهج بهائم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاخزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخارى ومسلم فى الصحيح وفى حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يامسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ بك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته

﴿الباب السابع والثلاثون فى بيان القضاء بين الخلائق﴾

قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام

وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيآت من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجوا الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى أبو ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أباذر أتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة وقال أبو هريرة في قوله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس أن تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن سينجينه فما يزال العبد يجيء فيقول رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم ليحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصه منه ولا لاحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانا نأتي الله عز وجل عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شئ قال يا رب يحمل عني من أوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبي هذا أو لأى صديق هذا أو لأى شهيد هذا قال لمن أعطاني الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على أن ذلك انما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من فصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا أفترى ان هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تتناول اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها (٣) وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلائق وهم ينظرون الى اسوداد وجهك والى ظهور خزيك وأنت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة في قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بأيدي الزبانية الى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر

﴿الباب الثامن والثلاثون في بيان ذم المال﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال تعالى ألهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك المكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال رجل يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو أهله والذي يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الفارسي الى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا أخي اياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروى أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراه سوأ فقال اللهم من فعل بي سوأ فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وأن يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك مالم تخرج عني لا تنفعني وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسله اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد الا أذله الله وقيل ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم

وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه فى حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك أن يعيذك الله منى فابغض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفى ذلك قيل

انى وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

﴿وفى ذلك قيل أيضا﴾

لا يغرنك من المرء قميص رقعه * أو ازار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه * أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدونى فاقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فانى لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدى أحد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا أبالى على ما وقع وروى ان محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى ويروى أن رجلا قال لابى عبد ربه يا أخى لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فاخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

﴿الباب التاسع والثلاثون فى الاعمال والميزان وعذاب النار﴾

يا أخى لا تغفل عن الفكر فى الميزان وتطاير الكتب الى الايمان والشمائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادى مناد ليقم الحمادون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيآتهم ولكن يأبى الله الا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيآت وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع فى اليمين أو فى الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى جانب السيآت أو الى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذى نفسى بيده فى

ثلاث مواطن فان أحد الا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين و وزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف
ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله وعند الصراط وعن أنس قال
يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت
يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي
فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم
ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة انه يوم
ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من
كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين
ما كانتا مع أحد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني آدم و بني ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال يأجوج
ومأجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم
القيامة الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه
من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر
الى موردك فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في
قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة
ما قاسوا فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها اذ أحاطت
بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة
الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى أشفق البرآء من
سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل
المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى
العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك أنت العزيز الكريم فأسكنوا دارا
ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم
ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك وما لهم فيها فكاك قد
شدت أقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون
في نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود
يا مالك أخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان
فاخسؤا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى
ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين
النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار
وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع
وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي
بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به

ماقي بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من
العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف
شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت
الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا
يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكمت
ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم
الى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد
باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم
هذا بعض جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب
سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي
كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يارسول
الله وما وادي أو جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء
المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد
الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم
الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي
أرب من الدنيا الا الى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا
الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت
الدركات فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن اكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك
مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم
مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر
عصيانه وذنبه الا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة
نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب
أصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن
لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه
النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت
بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم
فقال أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد
عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت
يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدونه في الصيف
من حرها وأشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من

الكفار فيقال اغمسوه فى النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضرا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا وقال أبو هريرة لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء فى قوله تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم الا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا فى نتن الصديد الذى يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلوا من غساق جهنم ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم فى دنياكم التى أنتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم فى دنياكم التى أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما فى بطونهم فيقولون أدعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال فيقولون أدعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون أدعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا فى الزفير والحسرة والويل (وقال أبو أمامة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهى لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه

يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعني أشداقه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد في أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلام ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطأه الناس ومع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في أول القائهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك (قال محمد بن كعب) لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن أنس رضي الله عنه قال زيد بن أسلم في قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورؤي الحسن رضي الله عنه جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له فأعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا

أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نتكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله لاهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تريننا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم قال أحمد بن حرب ان أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا أمر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ولعمري الاشارة به الى يوم القيامة بل في أزل الازل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري ماذا موردي والى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضي عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم

الباب الاربعون في فضل الطاعة

اعلم ان طاعة الله سبحانه وتعالى جماع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها في كتابه في آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات النفوس الى أنوار معرفة القدوس وليتمتعوا في دار النعيم التي أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فانهم لم يخلقوا عبثا بل ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وهو الغني عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم ولا تنقص من كمالاته شيأ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها والله الغني وأنتم الفقراء يا عجبا أحدنا يشتري الرقيق ويحب أن يكون قائما بما يلزم من الخدمة ناصحا له ممتثلا لمولاه الذي استولى عليه بالعرض اليسير الفاني ويمقته بزلة واحدة ويغضب عليه ويعاقبه ويضربه أو يطرده أو يبيعه فما لنا لا نطيع مولانا الحقيقي الذي خلقنا وسوانا ونقع في زلات عدد المطر ومع ذلك لم يمنع نعمه عنا وامداداته التي لولاها لهلكنا وهو قادر على البطش بنا

بمجرد ارتكاب زلة واحدة لكنه يمهلنا لعلنا نتوب فيقبلنا ويغفر زلتنا ويستر عورتنا فالعاقل يعرف من هو الاحق بالطاعة فيقبل عليه ويتوجه بكليته اليه وكلما أذنب تاب والى خالقه أناب ولا ييأس من رحمته ويحبب اليه بشكر نعمته ويواظب على ذلك عسى أن يكتب من المحبين فيأتيه الموت وهو مشتاق الى مولاه ومولاه أشد شوقا الى لقائه (قال أبو الدرداء) لكعب رضي الله عنهما أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد أني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل أرضي أني حبيب لمن حبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي وأحببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل الارض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وأنسوا بي أؤانسكم وأسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة أحبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي (وروى) عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون الي وأشتاق اليهم ويذكروني وأذكرهم وينظرون الي وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي أقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه (وفي أخبار داود عليه السلام) ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الي قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم أدعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فأقول اني لم أدعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي وأباهي بكم أهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت أبدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يارب أرني أهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا أتيتهم فأقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فانكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه

فقال داود انى رسول الله اليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود انى رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة ألا تنادونى أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم وأنظر اليكم فى كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا فى شئ من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق اليك وأتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون فى طلب رضاك فأعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أفنجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر فى جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هى النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدى به فى الظلمات من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا فى شئ من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمى عينى عن النظر الى الدنيا وأهلها وقلبى عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شئ دونك فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم الى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فانى كاشف الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الى نورى وجلالى فقال داود يارب بم نالوا هذه منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بى ومناجاتهم لى وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشئ من ذكرها وفرغ قلبه لى واختارنى على جميع خلقى فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بينى وبينه حتى ينظر الى نظر الناظر بعينه الى الشئ وأريه كرامتى فى كل ساعة وأقربه من نور وجهى ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به ياداود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بى يستعجلنى القدوم وأنا أكره أن أميته لانه موضع نظرى من بين خلقى لا يرى غيرى ولا أرى غيره فلو رأيته ياداود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكرى أباهى به ملائكتى وأهل سمواتى يزداد خوفا وعبادة وعزتى وجلالى ياداود لأقعدنه فى الفردوس ولأشفين صدره من النظر الى حتى يرضى وفوق الرضا (وفى أخبار داود أيضا) قل لعبادى المتوجهين الى محبتى ماضركم اذا احتجبت عن خلقى ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت دينى لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائى (وفى أخبار داود أيضا) ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك تحبنى فان كنت تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب ياداود خالص حبيبى مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه

ولا

ولا تقلد بنك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا على أني أسارع الى سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد واني قد حلفت على نفسي اني لا أثيب الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها أضف الاشياء الى لا تضاد عملك فتكون متعنيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني و بين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أبح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الى ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك الى الذين حجبت عقولهم عني فامرحوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهيدا ومن كتبته عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنغص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني و بينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم ادمانه

﴿الباب الحادي والاربعون في الشكر﴾

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لأقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (وأما الاخبار) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر و روي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبا أتاني ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني

أتعبد لربي قالت قلت انى أحب قربك لكنى أوثر هواك فأذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على ان فى خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغى أن لا ينقطع أبدا والى هذا السر يشير ما روى أنه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فأنا أبكى من خوفه فسأل الله له أن يجيره من النار فأجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفى لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام انى رضيت بالشكر مكافأة من أوليائى فى كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضا فى صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر الىّ أزيدهم ولما نزل فى الكنوز ما نزل قال عمر رضى الله عنه أى المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود الشكر نصف الايمان (واعلم) أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق وأما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الاذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذى أردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شئ الى عبد مملوك لا يقدر على شئ فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف الى الشكوى أن تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلى والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روى ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك

باللسان

باللسان ونتصرف

الباب الثاني والاربعون في بيان ذم الكبر

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم أخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسهى ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والارضين وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الينا وأقربكم منا

فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطأهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شئ من الصغار ثم يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يا بلال ان أباك حدثنى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فاياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزاحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل فى وفى أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن على ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سليمان عن السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصائد وفخوخا وان من مصائد الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر فى بردته اذ أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أى بنى ارفع ازارك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابى هى مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان وعن أبى بكر الهذلى قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثانى عطفه مصعر خده ينظر فى عطفيه أى حميق أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير مأخوذ بأمر الله فيها ولا مؤدى حق الله منها فى كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفتة والله

أن يمشي أحد طبيعته أو يتخلج تخلج المجنون خير له من هذا فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابك محب لشمائلك كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم

*وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر ياعم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدري من أنت أما أمك فاشتريتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين أو ثلاثا (ويروى) أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال ياعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وأنشدوا في هذا المعنى

عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذره
وفي غد بعد حسن هيئته * يصير في القبر جيفة قذره

وأنشد خلف الاحمر

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطاء قليل الصواب
أشد لجاجا من الخنفساء * وأزهى اذا ما مشى من غراب

(وقال آخر)

قلت للمعجب لما * قال مثلي لا يراجع
ياقريب العهد بالمخرج لم لا تتواضع

(ومثله لذي النون المصري)

أيها الشامخ الذي لا يرام * نحن من طينة عليك السلام
انما هذه الحياة متاع * ومع الموت تستوى الاقدام

وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أي يتبختر والله تعالى أعلم

(الباب الثالث والاربعون في التفكر في الايام وغيرها)

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى فقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية أي تعاقبهما في المجيء والذهاب يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال عطاء أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل

ياراقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد تطرقن أسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوله * فرب آخر ليل أجج النارا

(وقول آخر)

ان الليالي للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وأثنى الله على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا ومن ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير الى عائشة رضي الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فأخبرينا بأعجب شئ رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل شئ من أمره كان عجبا أتاني مرة في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب الى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل

اذا المرء كانت له فكرة * ففي كل شئ له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر في أمري وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها في حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جالست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أدوم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر

الناس فى عظمة الله ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا أبو شريح يمشى اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له ما يبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال أبو سليمان أيضا الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب (وقال حاتم) من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر فى الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه (ويروى) أن الله تعالى قال فى بعض كتبه انى لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائى رحمه الله تعالى على سطح فى ليلة قمراء فتفكر فى ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكى حتى وقع فى دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذى طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعى رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر فى الامور نجاة من الغرور والعزم فى الرأى سلامة من التفريط والندم والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم وقال أيضا الفضائل أربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها فى الشهوة والثالثة القوة وقوامها فى الغضب والرابعة العدل وقوامه فى اعتدال قوى النفس

(الباب الرابع والاربعون فى بيان شدة الموت)

عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال انى أعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم للموت على حدته وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موتى على فراش وقال الاوزاعى بلغنا ان الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو ان الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الارض وكأن نفسى

يخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا مات ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروى ان ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروى عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث الاولى شدة النزع كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو رجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشي على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورتك وجهك لكان حسبه وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فغلقها ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنعهم مني الحجاب فقال فأنت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدا الى ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه في أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها

فقال أدخلنيها من هو أهلك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يترا أى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الالباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار

﴿الباب الخامس والاربعون في بيان القبر وسؤاله﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذادا فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب للقبر فيقول أرأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل اذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك في متقدمنا اياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله الى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته الى المنزل الذي لا بد له منه (وقال يزيد) الرقاشي بلغني أن الميت اذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله لا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى

وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال
وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى
بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبيد الله بن عبيد بن عمير في جنازة
بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره
يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا أعددت لي وقال
البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان
المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون
مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب
السماء فليس منها باب الا يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول
ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق
نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي
محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك
نادى مناد أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت
حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت
فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله علمت ان كنت لسريعا الى طاعة الله تعالى بطيئا
عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة
فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلي
ومالي قال وأما الكافر فانه اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ
شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء
والارض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا
صعد بروحه نبذ وقيل أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروه
ما أعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا
مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ثم يأتيه آت
قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من
أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا
فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان
على أن يقلوها لم يستطيعوا ولو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح
فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض ليس الثقلين قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين
من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت
يموت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته
وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك
وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية ومرضيا

عنك

عنك الى روح الله و كرامته فاذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنتزع روحه انتزاعا شديدا ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها لنشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين (وعن محمد بن كعب القرظى) انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال أى شئ تريد وفى أى شئ ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبنى البنيان وتشقق الانهار قال لا لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها أى ليقولنها عند الموت وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال فى عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغى أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان عدد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها أقسام تلك الصفات بأعيانها هى المهلكات وهى بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذى ايذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا أن مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فأمثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغى أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الايمان التصديق والتسليم

﴿الباب السادس والاربعون فى بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض﴾

قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين يعنى لو تعلمون أمر القيامة باليقين لالهاكم عن ذلك أى عن التكاثر والتفاخر ولفعلتم ما ينفعكم من الخير ولتركتم ما لا ينفعكم ويقال حقا لو تعلمون علم اليقين كما يعلمه الرسل ان المال والحساب فى الفخر لا ينفعكم يوم القيامة ما افتخرتم بالمال وكثرة العدد لترون الجحيم أقسم الرب انكم لترون النار وشدتها يوم القيامة عيانا ثم لترونها عين اليقين يعنى لترون الجحيم الرؤية التى هى نفس اليقين وهى المشاهدة والمعاينة التى لا شك فيها فان قيل الفرق بين علم اليقين وعين اليقين قيل له علم اليقين كان للانبياء بنبوتهم وعين اليقين للملائكة لانهم يعاينون الجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسى فتكون لهم عين اليقين وان شئت قلت علم اليقين علم الموت والقبور للاحياء لانهم يعرفون بأن الاموات فى القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين للاموات لانهم عاينوا القبور اما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار وان شئت قلت علم اليقين علم القيامة وعين اليقين معاينة القيامة وأهوالها وان شئت قلت علم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين الرؤية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعنى لتسئلن يوم القيامة عن نعيم الدنيا من صحة الابدان والاسماع والابصار والمكاسب ومن لذة المأكل والمشارب وغير ذلك هل أديتم شكرها للولى وعرفتموه بها أم كفرتم بها (أخرج) ابن أبى

حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يعني عن الطاعات حتى زرتم المقابر يقول حتى يأتيكم الموت كلا سوف تعلمون يعني لو قد دخلتم قبوركم ثم كلا سوف تعلمون يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدي ربكم لترون الجحيم وذلك لأن الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوش في نار جهنم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم وعن علي رضي الله عنه قال النعيم العافية وعنه قال من أكل خبز البر وشرب من الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذي يسئل عنه وعن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال ناس من أمتي يعقدون السمن والعسل النقي فيأكلونه وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يا رسول الله أي نعيم نحن فيه وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم وروى الترمذي وغيره أنه لما نزلت ألهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يا رسول الله أي نعيم نسئل عنه وإنما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسئل قال أما ان ذلك سيكون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فقوما فقاما معه فأتى رجلا من الأنصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة

الباب السابع والاربعون في فضل ذكر الله تعالى

قال الله تعالى فاذكروني أذكركم وقال ثابت البناني رحمه الله اني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس رضي الله عنهما له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم

أعظم

أعظم من ذكركم اياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم وقال صلى الله عليه
وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع
عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه بى وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب
الله من ذكر الله عز وجل قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن
تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم
من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى
الاعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمس
ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله عز وجل
بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ
خير من ملائه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى
الى هرولت اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل فى
ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم
وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون
أعناقكم قالوا وما ذاك يارسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال صلى الله عليه وسلم قال الله
عز وجل من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال الفضيل بلغنا أن الله
عز وجل قال ياعبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء
ان الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته
وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز
وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروى أن كل
نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر
أهل الجنة على شئ الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى
فيمن عنده وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه
الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيآتكم حسنات وقال صلى الله عليه وسلم
ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم
حسرة يوم القيامة وقال داود صلى الله عليه وسلم الهى اذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس
الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بها على وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن
المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء وقال أبو هريرة رضى الله عنه ان أهل السماء ليتراءون
بيوت أهل الارض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما ترى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله اذا
اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون

تقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا أخذت بأعناقهم اليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم في المسجد قال فما ذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أي شئ تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أي شئ يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأي شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله اني أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم وقال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء

﴿الباب الثامن والاربعون في فضائل الصلوات﴾

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شئ قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال صلى الله عليه وسلم ان الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر كما قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت ومعنى هذا نكفرها حتى كأنها لم تكن وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له كأنه يسأل عن كفارتها فنزلت عليه وأقم الصلاة طرفي النهار الآية فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا قال هي لمن عمل بها من أمتي وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي أمامة ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصبت حدا فأقمه علي مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا ذا قال

اتممت

أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا قال نعم قال فانك من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله حينئذ على رسوله وأقم الصلاة طرفي النهار الآية وقال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسئل صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شيء أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد كفر أي قارب أن ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام وقال أبو هريرة رضي الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه في صلاة ما كان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع أحدكم الاقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فان أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة قال من أجل كثرة الخطا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله بشيء أفضل من سجود خفي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة وروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أعني بكثرة السجود وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا وهو معنى قوله عز وجل واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد أحسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب الى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال أبو هريرة رضي الله عنه أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك

(الباب التاسع والاربعون في بيان عقوبة تارك الصلاة)

قال تعالى مخبرا عن أصحاب الجحيم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وأخرج أحمد بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ومسلم بين الرجل وبين الشرك أو

الكفر ترك الصلاة وأبو داود والنسائي ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة والترمذي بين
الكفر والايمان ترك الصلاة وابن ماجه بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة وصح كما رواه الترمذي وغيره
أنه صلى الله عليه وسلم قال العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر والطبراني باسناد
لا بأس به من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا وفي رواية بين العبد والكفر والشرك ترك الصلاة
فاذا ترك الصلاة فقد كفر وفي أخرى ليس بين العبد والشرك الا ترك الصلاة فاذا تركها فقد أشرك
وفي أخرى سندها حسن عرا الاسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن أس الاسلام من ترك واحدة منهن فهو
بها كافر حلال الدم شهادة أن لا اله الا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان وفي أخرى سندها حسن
أيضا من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله والطبراني وغيره
باسنادين لا بأس بهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع خلال
قال لا تشركوا بالله شيأ وان قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصلاة تعمدا فمن تركها متعمدا فقد خرج
من الملة ولا تركبوا المعصية فانها سخط الله ولا تشربوا الخمر فانها رأس الخطايا كلها الحديث
والترمذي كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيأ من الاعمال تركه كفر غير الصلاة وصح خبر بين
العبد وبين الكفر والايمان الصلاة فاذا تركها فقد أشرك والبزار لا سهم في الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة
لمن لا وضوء له والطبراني لا ايمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له انما موضع
الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد * وابن ماجه والبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال أوصاني
خليلي صلى الله عليه وسلم أن لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وان أحرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن
تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر والبزار وغيره بسند حسن عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال لما قام بصري أي ذهب مع بقاء صحة الحدقة قيل نداويك وتدع الصلاة أياما قلت
لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان والطبراني بسند لا بأس
به في المتابعات أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله علمني عملا اذا أنا عملته دخلت
الجنة قال لا تشرك بالله شيأ وان عذبت وحرقت وأطع والديك وان أخرجاك من مالك ومن كل شئ هو لك
ولا تترك الصلاة متعمدا فان من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله الحديث وفي رواية سندها
صحيح لكن فيه انقطاع لا تشرك بالله شيأ وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان أمراك أن تخرج من
أهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا
تشربن خمرا فانه أي شربها رأس كل فاحشة واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله واياك والفرار
من الزحف وان هلك الناس وان أصاب الناس موت فاثبت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك
عنهم أدبا وأخفهم في الله وابن حبان في صحيحه بكروا بالصلاة في يوم الغيم فانه من ترك الصلاة فقد كفر
والطبراني عن أميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كنت أصب على رأس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضوأه فدخل رجل فقال أوصني فقال لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وحرقت بالنار ولا تعص
والديك وان أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخله ولا تشربن خمرا فانها مفتاح كل شر ولا تتركن
صلاة متعمدا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله الحديث (وأبو نعيم) من ترك الصلاة متعمدا
كتب الله اسمه على باب النار فيمن يدخلها والطبراني والبيهقي من ترك الصلاة فكأنما وتر أهله وماله والحاكم
عن علي عنه صلى الله عليه وسلم قال والله يا معشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لابعثن عليكم

رجلا فيضرب أعناقكم على الدين الحديث والبزار لا سهم فى الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له وأحمد مرسلا أربع فرضهن الله فى الاسلام فمن أتى بثلاث لم يغنين عنه شيأ حتى يأتى بهن جميعا الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت والاصبهانى من ترك صلاة متعمدا أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع الله عز وجل توبة والطبرانى من ترك الصلاة فقد كفر جهارا وأحمد بسند صحيح لكن فيها انقطاع لا تترك الصلاة متعمدا فانه من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله وابن أبى شيبة والبخارى فى تاريخه موقوفا على على رضى الله عنه قال من لم يصل فهو كافر ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس من ترك الصلاة فقد كفر وابن نصر موقوفا على ابن مسعود قال من ترك الصلاة فلا دين له وابن عبد البر موقوفا على جابر من لم يصل فهو كافر وابن عبد البر وغيره موقوفا على أبى الدرداء قال لا ايمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له وقال ابن أبى شيبة قال النبى صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر وقال محمد بن نصر سمعت اسحق يقول صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبى صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر وقال أيوب ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب قال ابن مسعود ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها وقال سعيد بن المسيب امام التابعين هو أن لا يصلى الظهر حتى تأتى العصر ولا يصلى العصر الى المغرب ولا يصلى المغرب الى العشاء ولا يصلى العشاء الى الفجر ولا يصلى الفجر الى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بغى وهو واد فى جهنم بعيد قعره شديد عقابه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس فمن اشتغل عن الصلاة فى وقتها بماله كبيعه أو صنعته أو ولده كان من الخاسرين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان نقصت فقد خاب وخسر وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وأخرج أحمد بسند جيد والطبرانى وابن حبان فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف قال بعض العلماء وانما حشر مع هؤلاء لانه ان اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه أو بتجارته أشبه أبى بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه والبزار عن سعد بن أبى وقاص قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب ابن سعد قال قلت لابى يا أبتاه أرأيت قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون أينا لا يسهو أينا لا يحدث نفسه قال ليس ذاك انما هو اضاعة الوقت والويل شدة العذاب وقيل واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره فهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها الا أن يتوب الى الله تعالى ويندم على مافرط وابن حبان فى صحيحه من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله والحاكم بسند فيه من اختلف فى توثيقه والاكثر على عدمه من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر والشيخان

والاربعة الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله زاد ابن خزيمة فى صحيحه قال مالك تفسيره ذهاب الوقت والنسائى من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله يعنى العصر ومسلم والنسائى ان هذه الصلاة يعنى العصر عرضت على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد أى النجم وأحمد والبخارى والنسائى من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله وأحمد باسناد صحيح وابن أبى شيبة من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تفوته فقد حبط عمله وابن أبى شيبة مرسلا من ترك العصر حتى تغيب الشمس من غير عذر فقد حبط عمله وعبد الرزاق لان يوتر أحدكم أهله وماله خير له من أن يفوته وقت صلاة العصر والطبرانى وأحمد من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تغرب الشمس فكأنما وتر أهله وماله والشافعى والبيهقى من فاتته الصلاة فكأنما أوتر أهله وماله والبخارى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة انه أتانى الليلة آتيان وانهما ابتعثانى وانهما قالا لى انطلق وانى انطلقت معهما وانا أتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر أى فيتدحرج فيأخذه فلا يرجع اليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل فى المرة الاولى قال قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لى انطلق انطلق فأتينا على رجل مستلق على قفاه واذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد واذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشر أى يشق شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعيناه الى قفاه قال وربما قال أبو رجاء فيشق قال ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل فى المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور قال فأحسب انه كان يقول فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا عليه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا أى بفتح المعجمتين وسكون الواو بن صياح مع انضمام وفزع قال قلت ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم واذا فى النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر أى فتح فاه بمعجمة مفتوحتين فتح فاه فألقمه حجرا قلت لهما ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلا مرئيا واذا عنده نار يحشها أى بمهملة مضمومة فمعجمة يوقدها ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا الى روضة معتمة أى طويلة النبات من أعتم اذا طال فيها من كل نور الربيع واذا بين ظهرانى الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا فى السماء واذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قال قلت ما هذا ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم ولا أحسن منها قالا لى ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر منهم كأقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر قال واذا النهر معترض يجرى كأن ماءه المحض أى الخالص فى البياض فذهبوا فوقعوا ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة قالا لى هذه جنة عدن وهذا منزلك قال فسما أى ارتفع بصرى صعدا بضمتين أى فوق فاذا قصر مثل الربابة أى السحابة البيضاء قالا لى هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله

فيكما

فيكم فذراني فأدخله قالا أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت لهما فاني رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي
رأيت قالا لي انا سنخبرك أما الرجل الاول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن
فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه
وعيناه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وأما الرجال والنساء العراة الذين هم
في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فانه آكل
الربا وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن النار وأما الرجل
الطوال الذي في الروضة فانه ابراهيم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض
المسلمين يارسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين وأما القوم
الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم وفي
حديث البزار قال ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما
كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقلت رؤسهم عن الصلاة
وأخرج الخطيب وابن النجار علم الاسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدها ووقتها وسنتها فهو
مؤمن وابن ماجه قال الله تعالى افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندي عهدا أن من حافظ
عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي وأحمد والحاكم من علم أن الصلاة
عليه حق واجب وأداها دخل الجنة والترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن ماجه أول ما يحاسب
به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص
من فريضته قال الرب انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر
عمله على ذلك والنسائي أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضى به بين الناس في الدماء
وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان كان أتمها
كتبت له تامة وان لم يكن أتمها قال للملائكته انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فيكملون بها فريضته
ثم الزكاة كذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك والطبراني أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة ينظر في
صلاته فان صلحت فقد أفلح وان فسدت فقد خاب وخسر وابن عساكر أول ما يحاسب به العبد صلاته فان
صلحت صلح سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله ثم يقول انظروا هل لعبدي نافلة فان كانت له أتم بها
الفريضة ثم الفرائض كذلك لعائدة الله ورحمته وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم أول ما يحاسب به
الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول ربنا عز وجل للملائكته وهو أعلم انظروا في صلاة عبدي أتمها
أم نقصها فان كانت تامة كتبت تامة وان كان انتقص منها شيأ قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان
له تطوع أتموا العبدي فريضته من تطوعه ثم يأخذ الاعمال على ذاكم والطيالسي والطبراني والضياء في
المختارة أتاني جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال يامحمد ان الله عز وجل يقول اني افترضت على أمتك
خمس صلوات فمن أوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له بهن عهد أن أدخله
الجنة ومن لقيني قد انتقص من ذلك شيأ فليس له عندي عهد ان شئت عذبته وان شئت رحمته * والبيهقي
للصلاة ميزان فمن أوفى استوفى * والديلمي الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره والتحابب
في الله والتودد في العلم يقطع دابره فاذا فعلتم ذلك تباعد منكم كمطلع الشمس من مغربها والترمذي وابن
حبان والحاكم اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذوي أمركم

تدخلوا جنة ربكم وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائي أحب الاعمال الى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله والبيهقي عن عمر رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أي الاعمال أحب الى الله في الاسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين ولذلك لما طعن عمر رضي الله عنه قيل له الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعمت أما انه لا حظ لاحد في الاسلام أضاع الصلاة وصلى رضي الله عنه وجرحه يجري دمه وروى الذهبي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى العرش فتستغفر لصاحبها الى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتني واذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت الى السماء وعليها ظلمة فاذا انتهت الى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وأخرج أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم وذكر منهم من أتى الصلاة دبارا أي بعد أن تفوته قال بعضهم وورد في الحديث أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه الله كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث في قبره وثلاث عند خروجه من القبر فأما اللواتي في الدنيا فالاولى تنزع البركة من عمره والثانية تمحى سيما الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين وأما التي تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلا والثانية يموت جائعا والثالثة يموت عطشانا ولو سقي بحار الدنيا ما روي من عطشه وأما التي تصيبه في قبره فالاولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارا فيتقلب على الجمر ليلا ونهارا والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الاقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الاقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء وأضربك على صلاة العشاء الى الفجر فكلما ضربه ضربة يغوص في الارض سبعين ذراعا فلا يزال في القبر معذبا الى يوم القيامة وأما التي تصيبه عند خروجه من القبر في موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار وفي رواية فانه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات السطر الاول يا مضيع حق الله السطر الثاني يا مخصوصا بغضب الله السطر الثالث كما ضيعت في الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة لان المفصل أربع عشرة فقط فلعل الراوي نسي الخامس عشر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر الله به الى النار فيقول يارب بماذا فيقول تعالى بتأخيرك الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذبا قال بعضهم أيضا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لاصحابه قولوا اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما ثم قال صلى الله عليه وسلم أتدرون من الشقي المحروم قالوا ومن هو يارسول الله قال تارك الصلاة قال أيضا ويروى انه أول ما تسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة وان في جهنم واديا يقال له لملم فيه حيات كل حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة

شهر تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه قال وروي أيضا أن امرأة من بني اسرائيل جاءت الى موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين فقالت يا نبي الله أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت الى الله تعالى فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب علي فقال لها موسى وما ذنبك قالت يا نبي الله زنيت وولدت ولدا وقتلته فقال لها موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اخرجي يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة يا موسى أما وجدت شرا منها قال موسى يا جبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة عامدا متعمدا وقال أيضا روي عن بعض السلف انه دفن أختا له ماتت فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا فقال يا أماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل قالت وما سؤالك عنها قال يا أماه رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال فبكت وقالت يا ولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالاتها في أوقاتها انه جواد كريم رؤف رحيم

﴿الباب الخمسون في بيان عرصات جهنم وعذابها﴾

قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم والمراد بالجزء هنا الحزب والطائفة والفريق وقيل المراد بالابواب الاطباق طبق فوق طبق قال ابن جريج النار سبع دركات وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك كذا قيل والمعنى ان الله تعالى يجزئ أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السيآت فكانت مواردها الابواب السبعة وعن علي رضي الله عنه قال أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها وأخرج البخاري في تاريخه والترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي وروى الطبراني في الاوسط ان جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل مالي أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لي النار وانعت جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من في الارض كلهم جميعا والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من في الارض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من

حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا الارفضت وما تقارت حتى تنتهى الى
الارض السفلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبى يا جبريل لا ينصدع قلبي فأموت قال فنظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكى فقال تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى
أنت به فقال ومالى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحالة التى أنا عليها وما أدرى
لعلى أبتلى بما ابتلى به ابليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هروت ومارون قال
فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا ان يا جبريل و يا محمد ان الله
تعالى قد آمنكما أن تعصيا فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الانصار
يضحكون و يلعبون فقال أتضحكون و وراء كم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما
أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل فنودى يا محمد لا تقنط عبادى
انما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا و روى الامام أحمد انه
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار
و روى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل
زمام سبعون ألف ملك يجرونها

﴿الباب الحادى والخمسون فى بيان عذاب جهنم أيضا﴾

روى أبو داود والنسائى والترمذى وصححه واللفظ له لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل الى
الجنة فقال انظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها فجاء ونظر اليها والى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع اليه
فقال وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها فأمر بها فحفت بالمكاره فقال ارجع اليها فانظر الى ما أعددت
لاهلها فيها فرجع اليها فاذا هى قد حفت بالمكاره فرجع اليه وقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد
فقال اذهب الى النار فانظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها فنظر اليها فاذا هى يركب بعضها بعضا فرجع
اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع اليها فرجع اليها
فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد الا دخلها والبيهقى بسند لا بأس به عن ابن مسعود رضى الله
عنه فى قوله تعالى انها ترمى بشرر كالقصر قال أما انى لست أقول كالشجر ولكن كالحصون والمدائن
وأحمد وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا
قبل أن يبلغ قعره والترمذى ويل واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وابن
ماجه واللفظ له والترمذى تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم
تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال أعد للقراء المرائين بأعمالهم وان
من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء الجورة والطبرانى ان فى جهنم لواديا تستعيذ جهنم من
ذلك الوادى كل يوم أربعمائة مرة أعد للمرائين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وابن أبى الدنيا ان فى
النار سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف حجر فى كل حجر حية
تأكل وجوه أهل النار والبخارى فى تاريخه بسند فيه نكارة ان فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد
سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت فى كل بيت سبعون
ألف بئر فى كل بئر سبعون ألف ثعبان فى كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر

أو المنافق حتى يواقع ذلك كله والترمذي بسند فيه انقطاع ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين خريفا وما تفضي الى قرارها وكان عمر رضي الله عنه يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي لو أن حجرا قذف به في جهنم لهوى بها سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى الى قعرها والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتا هاله فأتاه جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الصوت يا جبريل فقال هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله تعالى أن يسمعك صوتها فما رؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ملء فيه حتى قبضه الله عز وجل وأحمد والترمذي وحسنه لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وأحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه لو أن مقمعا من حديد جهنم وضع في الارض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الارض والحاكم وصححه لو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت فصار رمادا (المقمع المطراق وقيل السوط) وابن أبي الدنيا ان الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه وان مع كل انسان منهم حجرا وشيطانا والحاكم وصححه ان الارضين السبع بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية سجن الريح فلما أراد الله تعالى أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلكهم قال يارب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور فقال له الجبار تبارك وتعالى اذن تكفي الارض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه العزيز ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم قالوا يا رسول الله أللنار كبريت قال نعم والذي نفسي بيده ان فيها الاودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت والخامسة فيها حيات جهنم ان أفواهها كالاودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم والسادسة فيها عقارب جهنم ان أدنى عقرب منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم والسابعة فيها ابليس مصفد بالحديد يد أمامه ويد خلفه فاذا أراد الله أن يطلقه لما شاء من عباده أطلقه وأحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ان في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع احداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا وان في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة والترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تبارك وتعالى كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقط فروة وجهه فيه والترمذي وقال حسن غريب صحيح ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والحميم الماء الحار الذي يحرق وقال الضحاك الحميم يغلي منذ خلق الله السموات والارض الى يوم يسقونه ويصب على رؤسهم وقيل هو ما يجتمع من دموع أعينهم في حياض النار فيسقونه وقيل غير ذلك وهو المذكور في قوله تبارك وتعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وأحمد والترمذي وقال غريب والحاكم وقال صحيح

على شرط مسلم عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال جل ذكره وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وأحمد والحاكم وصححه لو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا والغساق هو المذكور فى قوله تعالى فليذوقوه حميم وغساق وقوله تعالى الا حميما وغساقا واختلف فيه فعند ابن عباس رضى الله عنهما هو ما يسيل من جلد الكافر ونحوه وعند آخرين هو صديدهم وقال كعب هو عين فى جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه فى عقبيه وكعبيه فيجر لحمه كما يجر المرء ثوبه والترمذى وقال حسن صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه وفى رواية فكيف بمن ليس له طعام غيره وصح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وطعاما ذا غصة شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج والشيخان ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع والمنكب مجمع رأس الكتف والعضد وأحمد ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء أى وهو جبل ومقعده من النار كما بين قديد ومكة أى نحو ثلاثة أيام وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار أى ملك باليمن له ذراع معروف المقدار كذا قال ابن حبان وغيره وقيل ملك بالعجم ومسلم ضرس أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث والترمذى ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث من الربذة أى كما بين المدينة والربذة وأحمد بسند جيد ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده من النار ما بينى وبين الربذة وفى رواية ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة وأحمد والطبرانى واسناده قريب من الحسن كما قاله الحافظ المنذرى والترمذى عن الفضيل بن يزيد ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس والفضل ابن يزيد عن أبى العجلان ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتوطأه الناس أخرجه البيهقى وغيره وهو الصواب قال النبى صلى الله عليه وسلم يعظم أهل النار فى النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وأحمد بسند صحيح والحاكم وصححه عن مجاهد قال ابن عباس أتدرى ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما تدرى ان بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجرى فيه أودية القيح والدم قلت أنهار قال لا بل أودية

﴿الباب الثانى والخمسون فى بيان فضل الخوف من الذنب﴾

اعلم ان أعظم زاجر عن الذنب هو خوف الله تعالى وخشية انتقامه وسطوته وحذر عقابه وغضبه وبطشه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم * جاء أنه صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن

وهب بن الورد قال كان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم يقول حب
الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر عن المصيبة ويبعدان العبد من لذات الدنيا وشهواتها ومعاصيها
وعن الحسن قال والله لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أنفق أحدهم عدد الحصى ذهبا يخشى أن لا ينجو لعظم
الذنب فى نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تسمعون ما أسمع أطت السماء وحق لها أن تئط
والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك ساجد لله تعالى أو قائم أو راكع ولو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم أو لصعدتم الى الصعدات أى الجبال تجأرون الى الله تعالى خوفا
من عظيم سطوته وشدة انتقامه وفى رواية لا تدرون تنجون أو لا تنجون وقال بكر بن عبد الله المزنى
من أتى الخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكى وفى الحديث لو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من
العذاب لم يأمن النار وفى الصحيحين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك
الاقربين فقال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيأ يا بنى عبد مناف لا أغنى
عنكم من الله شيأ يا عباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من
الله شيأ يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيأ وعن عائشة رضى الله عنها
أنها قالت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون يا رسول الله هو الذى
يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال لا يا بنت أبى بكر يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصلى
ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه رواه أحمد وقيل للحسن البصرى يا أبا سعيد كيف نصنع
بمجالسة قوم يحدثونا عن الرجاء حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انه والله ان تصحب قوما يخوفونك حتى
تدرك مناخيرك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف ولما طعن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه وقربت وفاته قال لابنه ويلك ضع خدى على الارض لا أم لك ويلى وويلى ان لم يرحمنى
وقال له ابن عباس ما هذا الخوف يا أمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك الامصار وفعل
بك وفعل قال وددت أن أنجو لا علىّ ولا لى وفى رواية لا أجرا ولا وزرا وكان زين العابدين بن على
ابن الحسين رضى الله عنهم اذا توضأ وفرغ من وضوئه أخذته رعدة فقيل له فى ذلك فقال ويحكم أتدرون الى
من أقوم ولمن أريد أن أناجى وقال أحمد بن حنبل الخوف يمنعنى من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه
وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله
رجلا ذكر الله أى وعيده وعقابه خاليا ففاضت عيناه أى خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب
وفى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عينان لا تمسهما النار عين بكت فى جوف
الليل من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله تعالى وفى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله
عليه وسلم أنه قال كل عين باكية يوم القيامة الا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت فى سبيل الله
وعينا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى وأخرج الترمذى وقال حسن صحيح عن أبى
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج أى لا يدخل النار رجل بكى من خشية
الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم وقال عبد الله بن عمرو بن
العاص رضى الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب الىّ من أن أتصدق بألف دينار وقال عون
ابن عبد الله بلغنى أنه لا تصيب دموع الانسان من خشية الله مكانا من جسده الا حرم الله ذلك المكان
على النار وكان لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيز كأزيز المرجل من البكاء أى فوران وغليان أ

كغليان القدر على النار وقال الكندي البكاء من خشية الله تطفئ الدمعة منه أمثال البحار من النار وكان ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين ومع ذلك الجنة تطلبين أن تدخليها هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم أعمال غير ما نحن عاملون وعن سفيان الثوري قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصني قال يا سفيان لا مروءة لكذوب ولا راحة لحسود ولا إخاء لملول ولا سودد لسيئ الخلق قلت يا ابن رسول الله زدني قال يا سفيان كف عن محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن مسلما واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمنا ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره أي الحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وشاور في أمرك الذين يخشون الله قلت يا ابن رسول الله زدني قال يا سفيان من أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله الى طاعة الله قلت يا ابن رسول الله زدني قال أدبني أبي بثلاث قال لي أي بني ان من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم وقال ابن المبارك سألت وهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصي الله تعالى قال لا ولا من يهم بمعصية الله تعالى وقال الامام أبو الفرج بن الجوزي الخوف هو النار المحرقة للشهوات فإذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعصية ويحث على الطاعة وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة والاعمال الفاضلة التي يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى كما علم من الآيات والاخبار كقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال تعالى سيذكر من يخشى وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكل ما دل من الآيات والاحاديث على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم وأخرج ابن أبي الدنيا أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه وتعالى وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ان أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وان خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وقال أبو سليمان الداراني كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب وقد قال الله تعالى انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

﴿الباب الثالث والخمسون في بيان فضل التوبة﴾

جاء في فضل التوبة آيات كثيرة كقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا (والاحاديث في ذلك كثيرة) أخرج مسلم ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها والترمذي وصححه ان من قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والارض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه وصح أيضا ان الله تعالى جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية قيل وليس في هذه الرواية والاولى تصريح برفعه لكن صرح به البيهقي ونحوه ويجاب بان مثل هذا لا يقال من قبل الرأي فله حكم

المرفوع والطبراني بسند جيد للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه وابن ماجه بسند جيد لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم والحاكم وصححه من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون والشيخان ان عبدا أصاب ذنبا فقال يارب انى أذنبت ذنبا فاغفر لى فقال له ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال أذنب ذنبا آخر فقال يارب انى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى فقال ربه علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله تعالى ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال أذنب ذنبا آخر فقال يارب انى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى فقال ربه علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدى فليعمل ماشاء قال المنذرى قوله فليعمل ماشاء معناه والله أعلم أنه مادام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد اليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخر فليعمل اذا كان هذا دأبه ماشاء لانه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لا أن المعنى أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير اقلاع ثم يعاوده فان هذه توبة الكذابين وروى جماعة وصححوه ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل منها وان زاد زادت حتى يغلق بها قلبه فذلك الران الذى ذكر الله فى كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والترمذى وحسنه ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر أى تبلغ روحه حلقومه والطبرانى بسند حسن لكن فيه انقطاع والبيهقى بسند مجهول عن معاذ قال أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى ميلا ثم قال يامعاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الامام والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الامل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أو تصدق كاذبا أو تكذب صادقا أو تعصى اماما عادلا وأن تفسد فى الارض يامعاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية والاصفهانى اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب* والاصفهانى أيضا التائب النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله ان كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وانما الاعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما الى الآخرة واحذروا التسويف فان الموت يأتى بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فان النار أقرب الى أحدكم من شراك نعله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والطبرانى بسند صحيح لكن فيه انقطاع التائب من الذنب كمن لا ذنب له ورواه البيهقى من طريق آخر وزاد والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه الندم توبة أى انه معظم أركانها كخبر الحج عرفة والتقييد فى الندم بأن يكون من حيث المعصية [illegible] وخوف عدم [illegible] الى وهتك أو ضياع مال عن المعصية أو نحو ذلك والحاكم وصححه لكن فيه انقطاع ما علم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل أن يستغفره [illegible] وان الرجل ليستغفر والذنب الله [illegible] حتى [illegible] أحب الى المدح من الله [illegible] نفسه [illegible] الله من أجل [illegible] وليس [illegible] أحد

من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل ومسلم ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه علي فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتني بها ففعل فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت قال صلى الله عليه وسلم لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ولكن سمعته أكثر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الكفل من بني اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أأكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه الا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلتيه قط اذهبي فهي لك وقال لا والله لا أعصي بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه ان الله قد غفر للكفل وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كانت قريتان احداهما صالحة والاخرى ظالمة فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصاني قط وقال الملك انه قد خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما أن ينظر الى أيهما أقرب فوجدوه أقرب الى القرية الصالحة بشبر فغفر له قال معمر وسمعت من يقول قرب الله اليه القرية الصالحة والشيخان كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما هو أدنى كان له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفي رواية فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدي والى هذه أن تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له وفي رواية قال قتادة قال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها والطبراني بسند جيد ان رجلا أسرف على نفسه فلقي رجلا فقال ان الآخر قتل تسعة وتسعين نفسا كلهم ظلما فهل تجد لي من توبة قال لا فقتله وأتى آخر فقال ان الآخر قتل مائة نفس كلها ظلما فهل تجد لي من توبة فقال ان حدثتك أن الله لا يتوب على من تاب كذبتك ههنا قوم يتعبدون فأتهم تعبد الله معهم فتوجه اليهم فمات على ذلك فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فبعث الله اليهم ملكا فقال قيسوا ما بين المكانين فأيهم كان أقرب فهو منهم فوجدوه أقرب الى دير التوابين بأنملة فغفر له وفي رواية له ثم أتى راهبا آخر فقال اني قتلت مائة نفس فهل تجد لي من توبة فقال أسرفت ما أدري ولكن ههنا قريتان قرية يقال لها نصرة والاخرى يقال لها كفرة فأما أهل نصرة فيعملون عمل أهل الجنة لا يثبت فيها غيرهم وأما

أهل كفرة فيعملون عمل أهل النار لا يثبت فيها غيرهم فانطلق الى نصرة فان ثبت فيها وعملت عمل أهلها فلا شك في توبتك فانطلق يريدها حتى اذا كان بين القريتين أدركه الموت فسألت الملائكة ربها عنه فقال انظروا الى أي القريتين كان أقرب فاكتبوه من أهلها فوجدوه أقرب الى نصرة بقيد أنملة فكتب من أهلها

﴿الباب الرابع والخمسون في بيان النهي عن الظلم﴾

قال الله تعالى وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من ظلم شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة وفي بعض الكتب يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري وما أحسن قول بعضهم

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم يرجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

(وقول الآخر)

اذا ما الظلوم استوطأ الارض مركبا * ولج غلوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الزمان فانه * سيبدى له مالم يكن في حسابه

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الاقوياء وقال أبو هريرة رضي الله عنه ان الحبارى لتموت هولا في وكرها من ظلم ظالم وقيل مكتوب في التوراة ينادي مناد من وراء الجسر يعني الصراط يا معشر الجبابرة الطغاة ويا معشر المترفين الاشقياء ان الله يحلف بعزته أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظلم ظالم وعن جابر رضي الله عنه قال لما رجعت مهاجرة الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة فقال فتية وكان منهم على يا رسول الله بينما نحن يوما جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت اليه ثم قالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسي وجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم ما أمري وأمرك عنده غدا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خمسة غضب الله عليهم ان شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والاثوى بهم في الآخرة الى النار أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يسوى بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استأجر أجيرا فاستتم عمله ولم يوفه أجره ورجل ظلم امرأة في صداقها وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال ان الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤسهم الى الله وقالوا يارب مع من أنت قال مع المظلوم حتى يؤدي اليه حقه وعن وهب بن منبه رضي الله عنه بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه شيأ تأوى اليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى بناءها فقال لمن هذا فقيل لامرأة فقيرة تأوي اليه فأمر بهدمه فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت من هدمه فقيل لها الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها الى السماء وقالت يارب أنا لم أكن حاضرة فأين كنت قال فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على

من فيه فقبله (وقيل) لما حبس بعض البرامكة وولده قال يا أبت بعد العز صرنا في القيد والحبس قال يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عز وجل عنها وكان يزيد بن حكيم يقول ما هبت أحدا قط هيبتي رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لي حسبي الله الله بيني وبينك وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم فلقيه المظلوم وعرف ما في ظلمه فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيآتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الدرك الأسفل من النار وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا قلنا يا رسول الله كيف وإنما نأتي حفاة عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيآت جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة (ومما ذكر) ان كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه فلما بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم الى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فقال له المعلم اعلم أيها الملك انك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت انك تنال الملك بعد أبيك فأردت أن أذيقك طعم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا بعد فقال له جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه

(الباب الخامس والخمسون في النهي عن ظلم اليتيم)

قال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال قتادة نزلت في رجل من غطفان ولي مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله ظلما أي لاجله أو حال كونهم ظالمين وخرج به أكلها بحق كأكل الولي بشروطه المقررة في كتب الفقه قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أي بمقدار الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضا أو بقدر أجرة عمله أو ان اضطر فان أيسر قضاه والا فهو في حل وقد نبه تعالى على تأكد حق الأيتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا اذ المراد بشهادة السياق خلافا لمن حمل الآية على النهي في الوصية بأكثر من الثلث أو نحو ذلك الحمل لمن كان في حجره يتيم على انه يحسن اليه حتى في الخطاب فلا يخاطبه الا بنحو يا بني مما يخاطب به أولاده ويفعل معه من البر والمعروف والاحسان والقيام في ماله ما يحب أن يفعل بعياله وبذريته من بعده وان الجزاء من جنس العمل مالك يوم الدين أي الجزاء كما تدين تدان أي كما تفعل يفعل معك بينما الانسان آمن متصرف في مال الغير وعلى أولاد غيره واذا بالموت قد حل به فيجزيه الله تعالى في ماله وذريته وعياله وسائر تعلقاته بنظير ما فعله مع غيره ان خيرا فخير وان شرا فشر فليخش العاقل على أولاده وماله ان لم يكن له خشية على دينه ويتصرف على الايتام الذين في حجره بما يحب أن يتصرف ولي أولاده لو كانوا أيتاما عليهم في ماله وجاء ان الله تعالى أوحى الى داود وصلى الله على نبينا وعليه وسلم

يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج الشفيق واعلم انك كما تزرع كذا تحصد أى كما تفعل يفعل معك اذ لا بد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة وجاء فى التشديد فى أموال اليتامى والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما فى الآية من ذلك الوعيد الشديد بتحذير الناس عن هذه الفاحشة الوخيمة المهلكة أخرج مسلم وغيره يا أبا ذر انى أراك ضعيفا وانى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم والشيخان وغيرهما اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث والبزار الكبائر سبع الاشراك بالله وقتل النفس بغير حق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه وابن حبان فى صحيحه ان من جملة كتابه صلى الله عليه وسلم الذى أرسله مع عمرو بن حزم الى أهل اليمن وان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار فى سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمى المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وأبو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا فقيل من هم يا رسول الله قال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وفى حديث المعراج عند مسلم فاذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وفى تفسير القرطبى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار تخرج من أسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما

﴿الباب السادس والخمسون فى بيان ذم الكبر﴾

تذكر مما ورد فى ذم الكبر زيادة على ما تقدم لشؤمه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من ابليس فلعنه الله وطرده من جنة عرضها السموات والارض الى عذاب السعير ففى الحديث القدسى الكبر ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى واحد منهما قصمته ولا أبالى وورد يحشر المتكبرون أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ويسقون من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك جائر وعائل مستكبر وعن عمر رضى الله عنه انه قرأ قوله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالمعروف فقتل المتكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك ورأى صلى الله عليه وسلم رجلا يأكل بشماله فقال كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك أى اعتلت يده وروى ان ثابت بن قيس بن شماس قال يا رسول الله انى امرؤ حبب الى من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس أى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله

أمثاله أوخيرمنه (قال وهب بن منبه) لما قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ أنت عبد تعبد فاستنكف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأغرقه الله (وقالت قريش) فيما أخبر الله عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك ثم أخبرهم الله عن تعجبهم حين دخلوا النار اذ لم يروا فيها الذين ازدروهم كأهل الصفة فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم قال وهب رضي الله عنه العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وذلك لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضي الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار وقال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم (روى) ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فأنف منه وقال له قم عني فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي رواية أخرى فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العباد قلوبهم روى ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني أرى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه قال الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل ضحاك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله (روى) عن أبي ذر رضي الله عنه انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي وقال علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب الى أصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لاحد هذين المعنيين

(الباب السابع والخمسون في فضل التواضع والقناعة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطيهن الله الا من أحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني أن يحمل الرجل الشئ في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه ومالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار ومن أحسن ما قيل شعرا

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه * على طبقات الجو وهو وضيع

(ومما جاء في فضل القناعة زيادة على ما تقدم) قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره وأحسن الى من شئت تكن أميره وقليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال بعضهم ما رأيت غنى أفضل من القناعة ولا فقرا أشد من الرغبة وأنشد

أفادتني القناعة كل عز * وأي غنى أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال * وصير بعدها التقوى بضاعة
تحز ربحا وتغني عن بخيل * وتنعم في الجنان بصبر ساعة

(وقال آخر)

قنع النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكفيها

انما أنت طول عمرك ماعمرت فى الساعة التى أنت فيها

(وقال آخر)

اذا الرزق عنك نأى فاصطبر * ومنه اقتنع بالذى قد حصل
ولا تتعب النفس فى تحصيله * فان كان ثم نصيب وصل

(وقال آخر)

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

(وقال آخر)

ياطالب الرزق الهنى بقوة * هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الاسود بقوة جيف الفلا * ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصابته خصاصة قال لاهله قوموا الى الصلاة ويقول أمرت بهذا ويقرأ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وأنشدوا

دع التهافت فى الدنيا وزينتها * ولا يغرنك الاكثار والجشع
واقنع بما قسم الرحمن وارض به * ان القناعة مال ليس ينقطع
وخل ويلك فضول العيش أجمعها * فليس فيها اذا حققت منتفع

ولبعضهم

اقنع بما تلقى بلا بلغة * فليس ينسى ربنا النمله
ان أقبل الدهر فقم قائما * وان تولى مدبرا نم له

ومن كلام الحكماء ليست العزة فى حسن البزة فان التنعم بلبس الثياب والتجمل بحسن الزى يشغل العبد حتى لا يعبأ بشئ من أمر دينه ميلا لدنياه وقلما يخلو صاحبه من العجب وأنشد بعضهم

رضيت من الدنيا بلقمة يابس * ولبس عباء لا أريد سواهما
لانى رأيت الدهر ليس بدائم * فدهرى وعمرى فانيان كلاهما

(الباب الثامن والخمسون فى بيان غرور الدنيا)

جميع أحوال الدنيا مصروفة الى ما يسوء ويسر فليست مساعدة لجميع أهلها وانما هى متلونة على ما اقتضته حكمة الحكيم قال سبحانه ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك قال بعض المفسرين مختلفين فى الرزق يريد اختلافهم فى الغنى والفقر فالواجب على من ساعدته دنياه وأخدمها له مولاه ان يتلقى ذلك بشكره ويتوجه اليه بصنائع المعروف فانها تقى مصارع السوء ولا يغتر بدنياه وكفى بقوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى الآية تنفيرا عن الغرور بها وقال صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم والمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى وقال الشاعر

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها

اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(وقال آخر)

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا
ما كان في حق حر أن يذل لها * فكيف وهي متاع يضمحل غدا

وأنشد ابن بسام

أف للدنيا وأيامها * فانها للحزن مخلوقه
همومها لا تنقضي ساعة * عن ملك فيها ولا سوقه
يا عجبا منها ومن شأنها * عدوة للناس معشوقه

(وأنشد آخر)

وقائلة أرى الايام تعطي * لئام الناس من رزق حثيث
وتمنع من له شرف وفضل * فقلت لها خذي أصل الحديث
رأت حل المكاسب من حرام * فجادت بالخبيث على الخبيث

(وأنشد آخر أيضا)

سل الايام ما فعلت بكسرى * وقيصر والقصور وساكنيها
أما استدعتهم للبين طرا * فلم [illegible] الحليم ولا السفيها

وحكي ان [illegible] بقوم فقدموا اليه طعاما فأ[illegible] [illegible] ثم فاقتلعوا الخيمة فأصابه حر الشمس فانتبه فارتـ[illegible] في ابن آدم أدني [illegible] طعام ثم بسط ملك تلك الار[illegible] [illegible] طعما [illegible] الدنيا كظل [illegible] ازل العرين أشد [illegible] لا ومن هو قال ملك من ملو[illegible] [illegible] وفيها [illegible]

[illegible] ألا انما الدنيا مقيل لراكب * قضى وطرا من منزل ثم هجرا

وقال بعض الحكماء لصاحب له قد أسمعك الداعي وأعذر اليك الطالب ولا أحد أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطأه العمل وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وقال بعضهم ان العبد يحاسب على التحزن على ما فاته من الدنيا ويحاسب بفرحه في الدنيا اذا قدر عليها ولقد كان السلف الصالح فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات وهي لمسعر بن كدام

نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى * كما غر باللذات في النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكره غبه * كذلك في الدنيا تعيش البهائم

﴿الباب التاسع والخمسون في بيان ذم الدنيا والتحذير منها﴾

روى عن أبي امامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة أما لك في

أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا لا يجب عليك ذلك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى خذاها نفسي بها طيبة وإنما هي لتأخذاها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرياني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة [illegible] كلماه ودعا للسليمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فأنزل الله تعالى في ثعلبة [illegible] عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله [illegible] معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة وسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد خلافة عثمان * وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لا أدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم بإذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري ثم انتهيا إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري فانتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام [illegible] ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لي

وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم الى القرية حتى يشترى لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذى بعث لاى شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكنى أضع في هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذانك الرجلان لاى شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها (وحكى) أن ذا القرنين أتى على أمة من الامم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم في ذلك معايش من نبات الارض وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فأقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك لتأتينى فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لى اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قال انما كرهناهما لان أحدا لم يعط منهما شيأ الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قال أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض أفلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قال كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأى ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض أعطاه الله سلطانا على أهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا أدرى ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم أهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتى فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هذا المال قال ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به وما أحسن قول القائل

يامن تمتع بالدنيا وزينتها ... ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه

(وقوف آخر)

عفت على السنة الرفيعة بهل ... وتأخر دى فضل فقالت خذ العذرا

بنو الجهل أبناء لهذا رفعتهم * وأهل التقى أبناء ضرتي الاخرى

﴿وقول محمود الباهلي﴾

ألا إنما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أو تولت

فإن أقبلت فاستقبل الشكر دائما * ومهما تولت فاصطبر وتثبت

﴿الباب الستون في فضل الصدقة﴾

قال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا فان الله يقبلها بيمينه أي ملتبسة بيمينه وبركته ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه بفتح ففضم فتشديد مهره أول ما يولد حتى تكون مثل الجبل وفي رواية كما يربي أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات يمحق الله الربا ويربي الصدقات ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل وفي رواية للطبراني ما نقصت صدقة من مال وما مد عبد يده بصدقة الا ألقيت في يد الله أي الا قبلها الله تعالى ورضي به قبل أن تقع في يد السائل وما فتح عبد باب مسئلة له عنها غنى الا فتح الله له باب فقر يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى ما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس (وفي الخبر) ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة وفي الخبر أيضا ليتق أحدكم وجهه من النار ولو بشق تمرة وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار * يا كعب بن عجرة انه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت النار أولى به يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد في فكاك نفسه فمعتقها وغاد موبقها يا كعب بن عجرة الصلاة قربان والصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يذهب الجليد على الصفا وفي رواية كما يطفئ الماء النار * ان الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء وفي رواية ان الله ليدرأ أي يدفع بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء وفي الحديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس [illegible] أن رجل شيأ من الصدقة حتى يفك عنها لحي سبعين شيطانا وقيل يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال جهد المقل وابدأ بمن تعول وقال صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة درهم فقال رجل كيف ذاك يا رسول الله فقال رجل له مال كثير أخذ من عرضه أي بضم أوله المهمل وبالضاد المعجمة جانبه مائة ألف درهم وتصدق بها ورجل ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به وقال صلى الله عليه وسلم لا تردوا السائل ولو بظلف هو بكسر أوله المعجم للبقر والغنم كالحافر للفرس * سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الى أن قال ورجل تصدق بصدقة وأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه * صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وفي رواية للطبراني صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف [illegible] يا رسول الله قال أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد ثم قرأ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قيل يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال سر الى

فقير

فقير أو جهد من مقل ثم قرأ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية
من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله تعالى ما دام عليه منه خيط أو سلك * أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري
كساه الله تعالى من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى من ثمر الجنة وأيما مسلم سقى
مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم * الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي رحم ثنتان صدقة
وصلة * أي الصدقة أفضل قال على ذي الرحم الكاشح أي المضمر لعداوته في كشحه أي خصره كناية عن
باطنه * من منح منيحة لبن أي بأن أعطى لبونا لمن يأكل لبنها ثم يردها أو ورق أي بأن أقرض دراهم أو
هدى زقاقا أي إلى الطريق كان له مثل عتق رقبة * كل قرض صدقة وفي رواية عند جماعة رأيت
ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر * من يسر على معسر
يسر الله عليه في الدنيا والآخرة * أي الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم
تعرف أنبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء فقلت أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة قال أطعم
الطعام وأفش السلام وصل الأرحام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام * اعبدوا
الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام * من موجبات الرحمة إطعام المسلم المسكين
من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين
مسيرة خمسمائة عام * إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال كيف أعودك
وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده
يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه
استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم
تسقني قال يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت
أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي

* الباب الحادي والستون في قضاء حاجة أخيه المسلم *

قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب
المجاهدين في سبيل الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله خلقا خلقهم لحوائج الناس آلى
على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في
الحساب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لأخيه المسلم في حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر
الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قضى لأخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له رواه أبو نعيم
في الحلية وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل
خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه
فإن مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه المسلم في حاجته فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق
ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض وعن [illegible] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فإذا ملوا نقلها إلى غيرهم وعن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الأسد في زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال

يقول اللهم لاتسلطني على أحد من أهل المعروف وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وانا أنزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الى فارسل الي رسولا أو اكتب لي كتابا فاني لأستحيي من الله أن يراك ببابي وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال والذي وسع سمعه الاصوات مامن أحد أودع قلبا سرورا الاخلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال أيضا فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها وعنه أيضا قال لاتكثر على أخيك الحوائج فان العجل اذا أفرط في مص ثدي أمه نطحته وما أحسن قول الشاعر

لا تقطعن عادة الاحسان عن أحد * مادمت تقدر والايام تارات
واذكر فضيلة صنع الله اذ جعلت * اليك لا لك عند الناس حاجات

﴿وقول الآخر﴾

اقض الحوائج ما استطعت وكن لهم أخيك فارج
فلخير أيام الفتى * يوم قضى فيه الحوائج

وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه

﴿الباب الثاني والستون في فضل الوضوء﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ماتقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم أيضا ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لايقبل الله الصلاة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كله حث على تجديد الوضوء وقال عليه الصلاة والسلام اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى أن الطاهر كالصائم وقال عليه الصلاة والسلام من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل

فان الارواح تبعث على ماقبضت عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وجه رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصر لكسوة الكعبة فنزل الرجل بعض أرض الشام الى جانب صومعة حبر من الاحبار ولم يكن حبر أعلم منه فأحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع منه علمه فأتاه واستفتح باب داره فلم يفتح له طويلا ثم دخل على الحبر فسأله ليسمع منه فأعجبه علمه فشكى اليه حبسه على بابه فقال له الحبر انا كنا رأيناك حين عدلت الينا على هيئة السلطان فتخوفناك وانما حبسناك على الباب لان الله تبارك وتعالى قال لموسى يا موسى اذا تخوفت سلطانا فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء فان من توضأ كان فى أمان مما يتخوف فاغلقنا دونك الباب حتى توضأت وتوضأ جميع من فى الدار وصلينا فأمناك لذلك ثم فتحنا لك الباب

الباب الثالث والستون فى فضل الصلوات

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كررنا الحث عليها اقتداء بكتاب الله العزيز فيما ورد فى فضلها زيادة على ما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما قال محمد ابن سيرين رحمه الله تعالى لو خيرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين على الجنة لان فى الركعتين رضا الله تعالى وفى الجنة رضائى ويقال ان الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها بالملائكة وتعبدهم بالصلاة لا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سماء نوعا من العبادة فأهل سماء قيام على أرجلهم الى نفخة الصور وأهل سماء ركع وأهل سماء سجد وأهل سماء مرخية الاجنحة من هيبته تعالى وأهل عليين وأهل العرش وقوف يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض فجمع الله ذلك كله فى صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عبادة أهل كل سماء وزادهم القرآن يتلونه فيها فطلب منهم شكرها وشكرها اقامتها بشرائطها وحدودها قال الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقال وأقيموا الصلاة وقال وأقم الصلاة وقال والمقيمين الصلاة فلم تجد ذكر الصلاة فى موضع من التنزيل الا جاء مقرونا باقامتها فلما بلغ ذكر المنافقين قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون فسماهم المصلين وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة وذلك ليعلم ان المصلين كثير والمقيمين للصلوات قليل فأهل الغفلة يعملون الاعمال على الترويج ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم ترد وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان منكم من يصلى الصلاة فلا يكتب له من صلاته الا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرها يعنى انه لا يكتب له من صلاته الا ما عقل منها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وانما عظم شأن صلاة العبد باقبال العبد على الله فاذا لم يقبل على صلاته ولها بحديث النفس كان بمنزلة من وقف الى باب ملك معتذرا من خطيئته وزلته فلما وصل الى باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه الملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا فلم يقض الملك حاجته وانما يقبل الملك عليه على قدر عنايته فكذلك الصلاة اذا دخل العبد فيها ولها عنها لا تقبل منه واعلم ان مثل الصلاة كمثل وليمة اتخذها ملك وهيأ فيها ألوانا من الاطعمة والاشربة لكل لون لذة وفى كل لون منفعة ودعا الناس اليها فكذلك الصلاة دعاهم الرب اليها وهيأ لهم فيها أفعالا مختلفة وأذكارا متنوعة تتعبدهم بها ليلذذهم بكل لون من العبودية فالافعال كالاطعمة والاذكار كالاشربة وقد قيل ان فى الصلاة اثنى عشرة ألف

خصلة ثم جمعت هذه الاثنتا عشرة ألفا في اثنتي عشرة خصلة فمن أراد أن يصلي فلا بد أن يتعاهد هذه الاثنتي عشرة خصلة لتتم صلاته فستة قبل الدخول في الصلاة وستة فيها أولها العلم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل والثاني الوضوء لقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور والثالث اللباس لقوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد يعني البسوا ثيابكم عند كل صلاة والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعني فرضا مؤقتا والخامس استقبال القبلة لقوله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يعني نحوه والسادس النية لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والسابع التكبير لقوله صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والثامن القيام لقوله عز وجل وقوموا لله قانتين يعني صلوا قائمين والتاسع الفاتحة لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن والعاشر الركوع لقوله عز وجل واركعوا والحادي عشر السجود لقوله عز وجل واسجدوا والثاني عشر القعود لقوله صلى الله عليه وسلم اذا رفع الرجل رأسه من آخر السجدة وقعد قدر التشهد فقد تمت صلاته فاذا وجدت هذه الاثنتا عشرة يحتاج الى الختم وهو الاخلاص لتتم هذه الاشياء لان الله تعالى يقول فاعبدوا الله مخلصين له الدين فاما العلم فعلى ثلاثة أوجه أولها أن يعرف الفريضة من السنة والثاني أن يعرف ما في الوضوء من الفريضة والسنة أيضا فان ذلك من تمام الصلاة والثالث أن يعرف كيد الشيطان فيأخذ في محاربته بالجهد وأما الوضوء فتمامه في ثلاثة أشياء أولها أن تطهر قلبك من الغل والحسد والغش والثاني أن تطهر البدن من الذنوب والثالث أن تغسل الاعضاء غسلا سابغا بغير اسراف في الماء وأما اللباس فتمامه بثلاثة أشياء أولها أن يكون أصله من الحلال والثاني أن يكون طاهرا من النجاسات والثالث أن يكون موافقا للسنة ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء وأما حفظ الوقت ففي ثلاثة أشياء أولها أن يكون بصرك الى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت والثاني أن يكون سمعك الى الاذان والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت وأما استقبال القبلة فتمامه في ثلاثة أشياء أولها أن تستقبل القبلة بوجهك والثاني أن تقبل على الله بقلبك والثالث أن تكون خاشعا ذليلا وأما النية فتمامها في ثلاثة أشياء أولها أن تعلم أي صلاة تصلي والثاني أن تعلم انك تقوم بين يدي الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيبة والثالث أن تعلم أنه يعلم ما في قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا وأما التكبير فتمامه في ثلاثة أشياء أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزما والثاني أن ترفع يديك حذاء أذنيك والثالث أن يكون قلبك حاضرا فتكبر مع التعظيم وأما تمام القيام ففي ثلاثة أشياء أولها أن تجعل بصرك في موضع سجودك والثاني أن تجعل قلبك الى الله والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا وأما تمام القراءة ففي ثلاثة أشياء أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير لحن والثاني أن تقرأ بالتفكر وتتعاهد معانيها والثالث أن تعمل بما تقرأ وأما تمام الركوع ففي ثلاثة أشياء أولها أن تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه والثاني أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج بين أصابعك والثالث أن تطمئن راكعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقار وأما تمام السجود ففي ثلاثة أشياء أولها أن تضع يديك بحذاء أذنيك والثاني أن لا تبسط ذراعيك والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم وأما تمام الجلوس ففي ثلاثة أشياء أولها أن تقعد على رجلك اليسرى وتنصب اليمنى نصبا والثاني أن تتشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين والثالث أن تسلم على التمام وأما تمام

السلام فان يكون مع النية الصادقة من قلبك ان سلامك على من كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن منكبيك وأما تمام الاخلاص ففي ثلاثة أشياء أولها أن تطلب بصلاتك رضا الله تعالى ولا تطلب رضا الناس والثاني أن ترى التوفيق من الله تعالى والثالث أن تحفظها حتى تذهب بها يوم القيامة لان الله تعالى قال من جاء بالحسنة ولم يقل من عمل بالحسنة

﴿الباب الرابع والستون في بيان أهوال القيامة﴾

روى ان عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال أما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم اما أن يخف واما أن يثقل وعند تطاير الصحف اما أن يعطى كتابه بيمينه واما أن يعطاه بشماله وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويقول وكلت بثلاثة وكلت بمن دعا مع الله الها آخر وبكل جبار عنيد وبكل من لا يؤمن بيوم الحساب فينطوي عليهم حتى يرمي بهم في غمرات جهنم ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الخاطف وكالريح العاصف الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يارسول الله وما الصور قال قرن من نور قلت يارسول الله كيف هو قال عظيم الدارة والذي بعثني بالحق نبيا العظم دارته كعرض السماء والارض ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة للفزع ونفخة للصعق ونفخة للبعث فتخرج الارواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فتدخل في الاجساد من الخياشيم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض وفي خبر آخر اذا أحيا الله تعالى جبريل وميكائيل واسرافيل فينزلون الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومعهم البراق وحلل من الجنة فتنشق عنه الارض فينظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل فيقول يا جبريل ما هذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة فيقول يا جبريل ما فعل الله بأمتي فيقول له جبريل أبشر فانك أول من تنشق عنه الارض وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا معشر الجن والانس انما هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه (وذكر عن يحيى بن معاذ الرازي) انه قرئ في مجلسه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا أي ركبانا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يعني مشاة عطاشا فقال أيها الناس مهلا مهلا غدا تحشرون الى الموقف حشرا وتأتون من الاطراف فوجا فوجا وتقفون بين يدي الله فردا فردا وتسألون عما فعلتم حرفا حرفا وتقاد الاولياء الى الرحمن وفدا وفدا ويرد العاصون الى عذاب الله وردا وردا ويدخلون جهنم حزبا حزبا يا اخواني أمامكم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم الراجفة يوم الآزفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المناقشة يوم المحاسبة يوم المساءلة يوم الصيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم النشور يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يوم التغابن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال مقاتل بن سليمان تقف الخلائق يوم القيامة مائة سنة لا يتكلمون ومائة سنة في الظلمة يتحيرون ومائة سنة يموج بعضهم في بعض عند ربهم يختصمون وان يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليهون على المؤمن المخلص حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة وقال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة أشياء

عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكن نبي قط الا كانت له دعوة مستجابة فجعلها في الدنيا واني خبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة اللهم شفعه فينا بجاهه عندك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والستون فى صفة جهنم والميزان)

لا بأس بذكر ذلك وان تقدم التنبيه على بعضه تتميما للفائدة لعل تكرر المواعظ ينفع القلوب الغافلة الفاسدة لاسيما وقد عظم الله سبحانه وتعالى هول جهنم وأحوال القيامة فى كتابه فى غير موضع بما يقع فى قلوب العاقلين أعظم موقع تنبيها على أن ما سوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى أما صفة جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه فقد روى فى الحديث ان جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب لها سبعة أبواب على كل باب سبعون ألف جبل فى كل جبل سبعون ألف شعبة من نار فى كل شعبة سبعون ألف شق من نار فى كل شق سبعون ألف واد من نار فى كل واد سبعون ألف قصر من نار فى كل قصر سبعون ألف بيت من نار فى كل بيت سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب لكل عقرب سبعون ألف ذنب لكل ذنب سبعون ألف فقار فى كل فقار سبعون ألف قلة من سم فاذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين الثقلين وسرادق آخر عن يسارهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم فاذا انظر الثقلان الى ذلك جثوا على الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى عظم خزنة جهنم المشار اليهم بقوله تعالى غلاظ شداد كل ملك ما بين منكبيه مسيرة سنة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب بالمقمع الذى فى يده جبلا لصار دكا فيدفع بكل ضربة سبعين ألفا فى قعر جهنم وأما قوله تعالى عليها تسعة عشر فالمراد بهم رؤساء الزبانية والا فالملائكة النار لا يعلم عددهم الا الله قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن سعة جهنم فقال والله ما أدرى ما سعتها ولكن بلغنا ان بين شحمة أذن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا يعنى سبعين سنة وانها تجرى فيها أودية القيح والدم وفى حديث الترمذى ان كثافة كل سرادق من سرادقات النار أى كثافة جداره مسيرة أربعين سنة وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من حر جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية فقال انها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها وقال صلى الله عليه وسلم لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه الى أهل الدنيا لاحترقت الدنيا من حرها ولو أن خازنا من خزنة جهنم أخرج الى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى الذى عليه وروى مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه اذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمى به فى نار جهنم منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الآن حين انتهى الى قعرها والوجبة هى الهدة وهى صوت وقع الثقيل (وكان عمر بن الخطاب) يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وقعرها بعيد وان مقامعها من حديد وكان ابن عباس يقول ان النار تلتقط أهلها كما تلتقط الطائر الحب وسئل رضى الله عنه عن قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فهل للنار عينان فقال نعم أما سمعتم قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا

قيل يارسول الله ولها عينان قال أما سمعتم قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد الحديث ويؤيده حديث يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق به فيقول انى وكلت اليوم بمن جعل مع الله الها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه (وأما صفة الميزان) فقد ورد فى الحديث ان كفة الحسنات من نور وكفة السيآت من ظلام وروى الترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكفة الحسنات عن يمينه وكفة السيآت عن يساره فتكون الجنة مقابلة الحسنات والنار مقابلة السيآت وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول توزن الحسنات والسيآت فى ميزان له كفتان ولسان وكان يقول اذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساما فيزنها يوم القيامة

﴿الباب السادس والستون فى بيان ذم الكبر والعجب﴾

اعلم أرشدنى الله وإياك لخير الدنيا والآخرة ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب ولذلك قالوا العلم يضيع بين الحياء والكبر والعلم حرب المتعالى كما أن السيل حرب للبناء العالى قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الحكماء لا يدوم الملك مع الكبر وقد قرن الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما بى يعنى أتكبر عليه وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روى انه قال لغلامه اسقنى ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه فى درجة لو سقط منها لتكسر (قال الجاحظ) المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدى وأما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفى وقيل للحجاج بن أرطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يزاحمنى البقالون وقيل أتى وائل بن حجر الى النبى صلى الله عليه وسلم فأقطعه أرضا وقال لمعاوية اعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له أردفنى خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فأعطنى نعليك قال ما بخل يمنعنى يا ابن أبى سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن انك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفنى قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا لمن لم يعرف القمر وفى مثله يقول الشاعر

قولا لاحمق يلوى التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما فى التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن

الشرك والكبر وآمر كما بلا اله الا الله فان السموات والارض ومافيهن لو وضعت فى كفة الميزان ولا اله الا الله فى الكفة الاخرى كان لا اله الا الله أرجح منهما ولو أن السموات والارض كانتا فى حلقة فوضعت لا اله الا الله عليهما لقصمتهما وآمر كما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يمت جبارا وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه مر فى السوق وعليه حزمة من حطب فقيل له ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسى وفى تفسير القرطبى فى قوله تبارك وتعالى ولا يضربن بأرجلهن ان فعلته تبرجا وتعرضا للرجال حرم وكذا من ضرب بنعله من الرجال عجبا حرم لان العجب كبيرة

الباب السابع والستون فى الاحسان الى اليتيم واجتناب الظلم

أخرج البخارى أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهذين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما ومسلم كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى والبزار من كفل يتيما له ذو قرابة أو لا قرابة له فأنا وهو فى الجنة كهاتين وضم أصبعيه ومن سعى على ثلاث بنات فهو فى الجنة وكان له كأجر المجاهد فى سبيل الله صائما قائما وابن ماجه من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله وكنت أنا وهو فى الجنة أخوين كما أن هاتين أختان وألصق أصبعيه السبابة والوسطى والترمذى وصححه من قبض يتيما من بين مسلمين الى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة الا أن يعمل ذنبا لا يغفر له وفى رواية سندها حسن حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة وابن ماجه خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه وأبو يعلى بسند حسن أنا أول من يفتح باب الجنة الا أنى أرى امرأة تبادرنى فأقول مالك ومن أنت تقول أنا امرأة قعدت على أيتام لى والطبرانى بسند رواته ثقات الا واحدا ومع ذلك ليس بالمتروك والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له فى الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الا لله كانت له فى كل شعرة مرت عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين الحديث وأخرج جماعة وصححه الحاكم أن الله تعالى قال ليعقوب ان سبب ذهاب بصره وانحناء ظهره وفعل اخوة يوسف به ما فعلوا أنه أتاه يتيم مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بأنه لم يحب شيأ من خلقه حبه لليتامى والمساكين وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل والشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله تعالى وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر وابن ماجه الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار (قال بعض السلف) كنت فى بدء أمرى سكيرا مكبا على المعاصى فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم نمت فرأيت الزبانية أخذونى أخذا مزعجا الى جهنم واذا باليتيم قد اعترضنى فقال دعوه حتى أراجع ربى فيه فأبوا فاذا النداء خلوا عنه فقد وهبناله ما كان منه باحسانه اليه فاستيقظت وبالغت فى اكرام اليتامى من يومئذ وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر الى أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجدا مهجورا فتركتهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن فى القوت فمرت بكبير

البلد وهو مسلم فشرحت له ما الحافظ يصدقها وقال لابد أن تقيمي عندي البينة بذلك فقالت أنا غريبة فأعرض عنها ثم مرت بمجوسي فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبناتها الى داره فبالغ فى اكرامهن فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبي صلى الله عليه وسلم معقود على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال يارسول الله لمن هذا القصر قال لرجل مسلم قال أنا مسلم موحد قال صلى الله عليه وسلم أقم عندي البينة بذلك فتحير فقص له صلى الله عليه وسلم خبر العلوية فانتبه الرجل فى غاية الحزن والكآبة اذ ردها ثم بالغ فى الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسي فطلبهن منه فأبى وقال قد لحقني من بركاتهن فقال خذ ألف دينار وسلمهن الى فأبى فأراد أن يكرهه فقال الذى تريده أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى النوم خلق لى أتفخر على باسلامك فوالله ما نمت أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك وقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم العلوية وبناتها عندك قلت نعم يارسول الله قال القصر لك ولاهل دارك فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن مالا يعلمه الا الله تعالى

﴿الباب الثامن والستون فى أكل الحرام﴾

قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية واختلفوا فى المراد به فقيل الربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة وقال ابن عباس هو مايؤخذ من الانسان بغير عوض وعليه قيل لما نزلت الآية تحرجوا من أن يأكلوا عند أحد شيأ حتى نزلت آية النور ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى آخرها وقيل هو العقود الفاسدة والوجه قول ابن مسعود انها محكمة مانسخت ولاتنسخ الى يوم القيامة انتهى وذلك لان الاكل بالباطل يشمل كل مأخوذ بغير حق سواء كان على جهة الظلم كالغصب والخيانة والسرقة أو الهزؤ واللعب كالمأخوذ بالقمار والملاهي وسيأتى ذلك كله أو على جهة المكر والخديعة كالمأخوذ بعقد فاسد ويؤيد ماذكرته قول بعضهم الآية تشمل أكل الانسان مال نفسه بالباطل بأن ينفقه فى محرم ومال غيره به كالامثلة المذكورة وقوله تعالى الا أن تكون تجارة استثناء منقطع لان التجارة ليست من جنس الباطل بأى معنى أريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس فى محله والتجارة وان اختصت بعقود المعاوضات الا أن نحو القرض والهبة ملحق بها بأدلة أخرى وقوله تعالى عن تراض منكم أى طيب نفس على الوجه المشروع وتخصيص الاكل فيها بالذكر ليس للتقييد به لكونه أغلب وجوه الانتفاعات على حد ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وأدلة هذا المبحث والتغليظات الواردة فيه من السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها أخرج مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لايقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك والطبرانى باسناد حسن طلب الحلال واجب على كل مسلم والطبرانى والبيهقى طلب الحلال فريضة بعد الفرائض والترمذى وقال حسن صحيح غريب والحاكم وصححه من أكل طيبا وعمل فى سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة قالوا يارسول الله ان هذا فى أمتك اليوم كثير قال وسيكون فى قرون بعدى وأحمد وغيره باسناد حسن أربع اذا كن فيك

فلاعليك مافاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خلق وعفة فى طعمة والطبرانى طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله والطبرانى ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبزار وفيه نكارة انه لادين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا زكاة له من أصاب مالا من حرام فلبس جلبابا يعنى قميصا لم تقبل صلاته حتى ينحى ذلك الجلباب عنه ان الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل عمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام وأحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة مادام عليه ثم أدخل أصبعيه فى أذنيه ثم قال صمتا ان لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم سمعته يقوله والبيهقى من اشترى سرقة وهو يعلم انها سرقة فقد اشترك فى عارها واثمها قال الحافظ المنذرى فى اسناده احتمال للتحسين ويشبه أن يكون موقوفا وأحمد بسند جيد والذى نفسى بيده لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب به الى الجبل فيحتطب ثم يأتى فيحمله على ظهره فيأكل خيرله من أن يجعل فى فيه ماحرم الله عليه وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما والحاكم من جمع مالا حراما ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان اصره عليه والطبرانى من كسب مالا حراما فأعتق منه ووصل منه رحمه كان ذلك اصرا عليه وأحمد وغيره بسند حسنه بعضهم ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا لمن يحب ومن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفسى بيده لا يسلم أو لا يسلم عبد حتى سلم أو يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يارسول الله قال غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق منه فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لا يمحو السئ بالسئ ولكن يمحو السئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث والترمذى وقال حسن صحيح غريب سئل صلى الله عليه وسلم عن أكثر مايدخل الناس النار قال الفم والفرج وسئل عن أكثر مايدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق والترمذى وصححه ماتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه والبيهقى الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله عليه وأورده جنته ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أورده الله دار الهوان ورب متخوض فى مال الله ورسوله له النار يوم القيامة يقول الله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا وابن حبان فى صحيحه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا من سحت والنار أولى به والترمذى لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به والسحت بضم فسكون أوضم الحرام وقيل الخبيث من المكاسب وفى رواية بسند حسن لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام

(الباب التاسع والستون فى النهى عن الربا)

الآيات فى النهى عن الربا كثيرة ومن الاحاديث مارواه البخارى وأبو داود لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغى ولعن المصورين وروى أحمد وأبو يعلى وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال آكل

الرباوموكله وشاهداه وكاتبه اذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوى الصدقة والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين الربا ثلاث وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل امه والبزار بسند رواته رواة الصحيح الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك والبيهقي الربا سبعون بابا أدناها الذى يقع على أمه والطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها فى الاسلام وفى سنده انقطاع وروى ابن أبى الدنيا والبغوى وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا الموقوف فى حكم المرفوع لان كون الدرهم أعظم وزرا من هذا العدد المخصوص من الزنا لا يدرك الا بوحى فكأنه سمعه منه صلى الله عليه وسلم ولفظ الموقوف فى أحد طرقه قال عبد الله الربا اثنان وسبعون حوبا أى بضم المهملة وبفتحها اثما أصغرها حوبا كمن أتى أمه فى الاسلام ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية قال ويأذن الله للبر والفاجر بالقيام يوم القيامة الا آكل الربا فانه لا يقوم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس وأحمد باسناد جيد عن كعب الاحبار قال لان أزنى ثلاثا وثلاثين زنية أحب الى من أن آكل درهما ربا يعلم الله انى أكلته حين أكلته ربا وأحمد بسند صحيح والطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية وابن أبى الدنيا والبيهقى خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربى الربا عرض الرجل المسلم والطبرانى فى الصغير والاوسط من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبيهقى ان الربا نيف وسبعون بابا أهونهن بابا مثل من أتى أمه فى الاسلام ودرهم من ربا أشد من خمس وثلاثين زنية الحديث والطبرانى فى الاوسط من رواية عمرو بن راشد وقد وثق الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل اتيان الرجل أمه وان أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه وابن ماجه والبيهقى عن أبى معشر وقد وثق عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشترى الثمرة حتى تطعم وقال اذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأبو يعلى باسناد جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه انه ذكر حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه ماظهر فى قوم الزنا والربا الا أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأحمد باسناد فيه نظر مامن قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوا بالسنة ومامن قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب والسنة العام المقحط نزل فيه غيث أم لا وأحمد فى حديث طويل وابن ماجه مختصرا والاصبهانى رأيت ليلة أسرى بى لما انتهينا الى السماء السابعة فنظرت فوقى فاذا أنا برعد وبرق وصواعق قال فأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء أكلة الربا والاصبهانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بى الى السماء نظرت فى سماء الدنيا فاذا رجال بطونهم كامثال البيوت العظام قدمالت بطونهم وهم منضدون على سابلة آل فرعون

موقوفون على النار كل غداة وعشي يقولون ربنا لاتقم الساعة أبدا فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء أكلة الربا من أمتك لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال الاصبهاني قوله منضدون أي مطروحون أي طرح بعضهم على بعض والسابلة المارة أي يطؤهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل غداة وعشي والطبراني بسند صحيح بين يدي الساعة يظهر الزنا والربا والخمر والطبراني بسند لا بأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه في سوق الصيارفة فقال يامعشر الصيارفة أبشروا قالوا بشرك الله بالجنة بم تبشرنا يا أبا محمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصيارفة أبشروا بالنار والطبراني اياك والذنوب التي لا تغفر الغلول فمن غل شيأ أتى به يوم القيامة وأكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والاصبهاني يأتي آكل الربا يوم القيامة مخبلا أي مجنونا يجر شقيه ثم قرأ لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وابن ماجه والحاكم وصححه ما أحد أكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة والحاكم وصححه أيضا الربا وان كثر فان عاقبته الى قل وأبو داود وابن ماجه كلاهما عن الحسن عن أبي هريرة واختلف في سماعه منه والجمهور على عدمه ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد الا آكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند والذي نفسي بيده ليبيتن أناس من أمتي على أشر وبطر ولهو ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وبأكلهم الربا ولبسهم الحرير وأحمد مختصرا والبيهقي واللفظ له يبيت قوم من هذه الامة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببني فلان وخسف الليلة بدار فلان ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل منها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة نسيها راويه القينات جمع قينة وهي المغنية

﴿الباب السبعون في حقوق العبد﴾

هي أن تسلم عليه اذا لقيته وتجيبه اذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا أقسم عليك وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك وتحب له ماتحب لنفسك وتكره له ماتكره لنفسك ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فاذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته ومنها أن يحب للمؤمنين مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توددهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها أن لا يؤذي أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه

وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يارسول الله ما الاسلام قال أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادى يافلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين وقال أبو هريرة رضى الله عنه يارسول الله علمنى شيأ أنتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من زحزح عن طريق المسلمين شيأ يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره أذى المؤمنين وقال الربيع بن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن ابن أبى أوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى حاجته ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن أحمد من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك ومنها أن لا يزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال أبو أيوب الانصارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك فى الدارين قالت عائشة رضى الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من أحد تواضع لله الا رفعه الله

الباب الحادى والسبعون فى ذم اتباع الهوى وفى بيان الزهد

قال الله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم الآية قال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه ولا يعمل بكتاب الله فكأنه يعبد هواه وقال تعالى ولا تتبع أهواءهم وقال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولذلك استعاذ صلى الله عليه وسلم منه بقوله اللهم انى أعوذ بك من هوى مطاع وشح متبع وقال ثلاث مهلكات هوى مطاع وشح متبع واعجاب المرء بنفسه وذلك لان كل معصية سببها هوى النفس فهو يقود

الى النار أعاذنا الله منه قال بعض العارفين اذا بدهك أمران لا تدرى فى أيهما الصواب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه وفى هذا المعنى قال الشافعى رضى الله عنه

اذا حار أمرك فى معنيين * ولم تدر حيث الخطا والصواب

فخالف هواك فان الهوى * يقود النفوس الى ما يعاب

وقال العباس اذا اشتبه عليك رأيان فدع أحبهما اليك وخذ أثقلهما عليك وأصله أن الامر الخفيف يسهل عليك موقعه ويقرب موضعه وتخف مؤنته وتأتى معونته فيشره المرء اليه وتحرص النفس عليه والامر الثقيل يصعب موقعه ويبعد موضعه وتبطئ معونته فتكسل النفس عنه وتكره التعب به روى عن عمر رضى الله عنه انه قال اقدعوا هذه الانفس فانها طليعة تنزع بكم الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرئ وان الباطل خفيف وبئ وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة ولذة ساعة أورثت حزنا طويلا وقال لقمان لابنه يابنى أول ما أحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوة فان أعطيتها شهوتها عادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة فى القلب كمون النار فى الحجر ان قدح أورى وان ترك توارى قال بعضهم

اذا ما أجبت النفس فى كل دعوة * دعتك الى الامر القبيح المحرم

(وقال آخر)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

(وقال غيره)

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى * طرق الرشاد اذا اتبعت هواك

وقال

اذا شئت اتيان المحامد كلها * ونيل الذى ترجوه من رحمة الرب

فخالف هوى النفس المسيئة انه * لأعدى وأردى من هوى الحب

هما سيان فى الهوى غير أن فى * هوى الحب مهما عف بعدا عن الذنب

وجل المعاصى فى هوى النفس فاعتمد * خلاف الذى تهواه ان كنت ذا لب

وقال

امارة العقل مكسوف بطوع هوى * وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا

(وقال الفضل بن العباس)

لقد ترفع الايام من كان جاهلا * ويردى الهوى ذا الرأى وهو لبيب

وقد تحمد الناس الفتى وهو مخطئ * ويعذل فى الاحسان وهو مصيب

وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله العقل وقال له أقبل فاقبل وقال له أدبر فادبر فقال وعزتى وجلالى لاركبنك الا فى أحب الخلق الى وخلق الحمق فقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى لاركبنك الا فى أبغض الخلق الى رواه الترمذى ولله در من قال

وقد أصاب رأيه عين الصواب * من استشار عقله فى كل باب

وقد رأى ان الهوى مهما يجب * يدعو الى سوء العواقب والعقاب

(وأنشد آخر)

اذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى * فلا تسعد النفس المطيعة للهوى

وخالف بها عن معتنى سهواتها * والا أن تحفل بمن ضل أو غوى

ودعها وماتدعواليـه فانها * لأمارة بالسوء من هم أومدى
لعلك أن تنجو من النارانها * لقاطعة الامعاء نزاعة الشوى

ومن منثور هم الهوى مركب ذميم يسير بك فى ظلمات الفتن ومرتع وخيم يقعدك فى مواطن المحن فلا تحملنك شهوة النفس على ركوب المذمات والقعود فى مواطن الخطيئات قيل لبعضهم لو تزوجت قال لوقدرت أن أطلق نفسي لطلقتها وأنشد

تجرد من الدنيا فانك انما * سقطت الى الدنيا وأنت مجرد

الدنيانوم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام من نظر بعين الهوى حار ومن حكم على الهوى جار ومن أطال النظر لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية * أوصى بعض الحكماء رجلا فقال آمرك بمجاهدة هواك فان الهوى مفتاح السيآت وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو وأهواها هوى يمثل لك الاثم فى صورة التقوى ولن تفصل بين هذه الخصوم اذا تناظرت لديك الا بحزم لا يشوبه وهن وصدق لا يطمع فيه تكذيب ومضاء لا يقاربه التثبط وصبر لا يغتاله جزع ونية لا تقسمها التضييع اللهم اجعل عقولنا غالبة على هوانا ولا تدقناضرا ولا هوانا ولا تشغلنا بدنيانا عن أخرانا واجعلنا ذاكرين لك شاكرين لنعمك بجاه نبيك محمد سيدنا ومولانا صلى الله عليه وسلم والحمد لله على ما أولانا * قال صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وقال سيد العمل الورع وقال كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وقال صلى الله عليه وسلم من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله اذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله قال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاث مقامات فزهد فرض وهو الكف عن المحارم وزهد سلامة وهو ترك الشبهات وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال وهذا تفسير حسن قال ابن المبارك الزهد اخفاء الزهد اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه وما أحسن قول القائل

انى وجدت فلا تظنن غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وليس الزاهد من زهد فى الدنيا وقد أعرضت عنه وانما الزاهد من أقبلت عليه فزوى عنها وجهه وآثر الفرار منها كما قال أبو تمام

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * بعصفرها الدنيا فليس بزاهد

وقال بعض الحكماء مالنا لا نزهد فى الدنيا وعمرها أمد وخيرها نكد وصفوها كدر وأمانها غرر ان أقبلت تشجي وان أدبرت تردى قال

تبا لطالب دنيا لا بقاء لها * كأنما هى فى تصريفها حلم
صفاؤها كدر سراؤها ضرر * أمانها غرر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم * لذاتها ندم وجدانها عدم
لا يستفيق من الانكاد صاحبها * لو كان يملك ما قد ضمنت ارم
فخل عنها ولا تركن لزهرتها * فانها نعم فى طيها نعم
واعمل لدار نعيم لانفاد لها * ولا يخاف بها موت ولا هرم

ومن حكم يحيى بن معاذ ليكن نظرك الى الدنيا اعتبارا ورفضك لها اختيارا وسعيك فيها اضطرارا وطلبك الآخرة ابتدارا

﴿الباب الثانى والسبعون فى صفة الجنة ومراتب أهلها﴾

اعلم ان تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها وهى النار تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من احداهما استقر لا محالة فى الاخرى فاستأثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الاحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقرى الاخضر متكئين على الارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين فى درجات الجنان اذا اختالت احداهن فى مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار متوجات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات فى الخيام فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا وماء غير آسن أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب أى أكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمى فيقصر فى تسوية صنعته وتحسين صناعته فى كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى اشراقها ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير الى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفى أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم فى كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد يا أهل الجنة ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان

الله

الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها وتأمل أولا (عدد الجنان) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ثم انظر الى أبواب الجنة فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصى قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد فقال أبو بكر رضى الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن على كرم الله وجهه انه ذكر النار فعظم أمرها ذكرا لا أحفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما فى بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رؤسهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان الى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو باثرى فيستخفها الفرح حتى تقوم الى أسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى أساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا هو مثل البرق ولولا أن الله تعالى أقدره لألم أن يذهب بصره ثم يطأطئ رأسه فاذا أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ثم اتكأ فقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لاحد قبلك * ثم تأمل الآن فى غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس فى الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمر الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك أوضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر فى الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر فى الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى

نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال أيضا ان أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يارسول الله صلى الله عليك بأبينا انت وأمنا قال ان في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يارسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يارسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك اجمع

*(الباب الثالث والسبعون في الصبر والرضا والقناعة

أما فضل الرضا من الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفي الحديث ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته اذ تقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد *وأما فضله من الاخبار فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب

الكعبة وفى خبر آخر أنه قال حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وفى الخبر طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال تعالى اذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وقال أيضا اذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيأ فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفى أخبار موسى عليه السلام ان بنى اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهى قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم (وأما فضل الصبر) فقد ذكر فى القرآن فى نيف وتسعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات فى مقام الصبر يطول ﴿وأما الاخبار﴾ فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم الآية وروى جابر أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق بأخلاقى وان من أخلاقى أنى انا الصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم فى الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار فى هذا لا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم عز من قنع وذل من طمع وقال صلى الله عليه وسلم القناعة كنز لا يفنى وتقدم الكلام على القناعة مرارا

﴿الباب الرابع والسبعون فى فصل التوكل﴾

فمن الآيات قوله تعالى ان الله يحب المتوكلين وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رأيت الامم في الموسم فرأيت أمتي قد ملؤا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربي عز وجل قال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروى أنه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد رمي الى النار بالمنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ ليرمى فأنزل الله تعالى وابراهيم الذي وفى وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا وقال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فأقسمت علي أمي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى آخرها فقال ماينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ الى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني وقال هرم بن حيان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ الى الشأم قال هرم كيف المعيشة قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا نسأل الله تعالى حسن الادب

(الباب الخامس والسبعون في فضل المسجد)

قال الله عز وجل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من ألف المسجد ألفه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له مالم يحدث أو يخرج من المسجد وقال

صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل في بعض الكتب ان بيوتي في أرضي المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه أن يقول الا خيرا ويروى في الاثر أو الخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعي كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وقال علي كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم

﴿الباب السادس والسبعون في الرياضة وفضل أهل الكرامة﴾

اعلم أن الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق ﴿الاول﴾ أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده ﴿الثاني﴾ أن يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكياس والاكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيأ من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل اعجابا وأعظم اتهاما لنفسه الا أن هذا أيضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد عتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا للعيوب بتنبيه

غيرهم وقد آل الامر في أمثالنا الى أن أبغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن
يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت
ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وابعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن
ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو
آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته
فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك
من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا
رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله
﴿الطريق الثالث﴾ أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي
المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن
يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله
على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لابد وان تنتشر على
ألسنتهم ﴿الطريق الرابع﴾ أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به
وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة
في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن
شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما
يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب (قيل) لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت
جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا
في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب
فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده (واعلم) أن ما ذكرناه ان
تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين
فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد
فان للايمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم
يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين
أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة وأقاويل
العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى
أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين
خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن
النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر
وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى
عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا
من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر

قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا أن يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثورى ما عالجت شيأ أشد على من نفسى مرة لى ومرة على وكان أبو عباس الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس ألا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شىء أشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل (ويروى) أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (وقال الجنيد) أرقت ليلة فقمت الى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فتى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال اسمعى فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشى اليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا

﴿الباب السابع والسبعون فى الايمان والنفاق﴾

اعلم ان كمال الايمان الذى هو التصديق بوحدانية الله تعالى وبما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم بزيادة الاعمال قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون وقال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى أولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقد قال تعالى هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا أدناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم أنه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى بعض الروايات واذا عاهد غدر وفى حديث أبى سعيد الخدرى القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم له بها وفى لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام أكثر منافقى هذه الامة قراؤها وفى الحديث الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة رضى الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى أن يموت وانى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون انه لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ماقدرنا أن نطأ على الارض بأقدامنا وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون انا لا نخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم أنى برىء من النفاق أحب الى من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه انى أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ماخفت النفاق ان المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفى رواية خمسين ومائة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يارسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت

تفعلك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يارسول الله فقال ومايؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيآت وقال سري السقطي لو أن انسانا دخل بستانا فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ياولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيأ فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين

(الباب الثامن والسبعون في النهي عن الغيبة والنميمة)

أما الغيبة فقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال عليه السلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم وقال سليمان بن جابر أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى أخاك ببشر حسن وان أدبر فلا تغتبه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائما فأذن لي لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين وانهما يستحييان أن يأتياك فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيئا فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل

واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذى نفسى بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفى رواية انه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يارسول الله انهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتونى بهما فجاءتا فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما قيئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئى فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم (وأما النميمة) فهى خصلة ذميمة قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذى لا يكتم الحديث وأشار به الى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعى وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر انه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفى حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يشينه بها يوم القيامة فى النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمى فقالت سعد من دخلنى فقال الجبار جل جلاله وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطى ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذى يقول على عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب الاحبار أن بنى اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يارب من هو دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا قال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال انى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الارض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البرىء أثقل من السموات والحق أوسع من الارض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم وما أحسن قول الشاعر

من ثم في الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به احد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف ينفيه

﴿وقول الآخر﴾

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذي وجهين كياد

(الباب التاسع والسبعون في بيان عداوة الشيطان)

قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى أن من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ماسوى مايوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى مايتعلق به يجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبي وجه من لا يفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من

ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلاف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة

(الباب الثمانون في بيان المحبة ومحاسبة النفس)

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد رحمه الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذوالنون قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وأنشد الشبلي رحمه الله

يا أيها السيد الكريم * حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفوني * أنت بما مر بي عليم

(ولغيره)

عجبت لمن يقول ذكرت الفي * وهل أنسى فاذكر ما نسيت
أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا * فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني * فان قصرت في نظري عميت

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى اذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال الدم منه فمات وقال ابراهيم بن أدهم الهي انك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوبه فتاش (وأما محاسبة النفس) فقد أمر الله بها بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمستوص أنت فقال نعم قال اذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فان كان رشدا

فامضه

فأمضه وان كان غيا فانته عنه وفي الخبر وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تعالى وأتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الي من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبي طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بيتك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها الله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك ان حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا ان شاء الله (وقال أنس بن مالك) سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما وقد خرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس وقال ميمون بن مهران التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب الى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في مكياله رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول حتى أبكاني وحكى صاحب للاحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

(الباب الحادي والثمانون في بيان تلبيس الحق بالباطل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في

قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل مني وان أساء قال يغفر لي فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وبمثله أخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب أى هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى أى شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد والقرآن من أوله تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا و يطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل فى العالم غرور يزيد على هذا ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن ما فى كفة السيآت أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الاخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتأمل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين الذين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمرى لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به فى فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الاجرة على النسخ ولا يحتاج خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم

(الباب الثانى والثمانون فى فضل صلاة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى بعض الصلوات فقال لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف

الى

الى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم وفي رواية أخرى ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وأنا في المسجد وقال محمد بن واسع ما أشتهي من الدنيا الا ثلاثة أخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لى فضلها وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان بى آنفا حتى أريت أن لى فضلا على غيري لا أؤم أبدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو اسحق البخاري وحده ولومات لى ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب الى من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

(الباب الثالث والثمانون في فضل صلاة الليل)

أما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل الآية وقوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل الآية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس (ومن الاخبار) قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفي الخبر انه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد ساء خلقه واذا ألعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم وفي الصحيح عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الليل ساعة

لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه وفى رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك فى كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا أباهريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أباهريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم لأبى ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى أنت وأمى قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروى أنه كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرنى منها فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فآذنونى فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يارسول الله انى لست هناك ولا يبلغ عملى ذاك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة ويروى أن جبرائيل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلى بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال على بن أبى طالب شبع يحيى ابن زكريا عليهما السلام ليلة من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتى وجلالى يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه أو عن شئ منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل قيل كان الامام البخارى رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع * فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقم * خرجت نفسه الصحيحة فلته

(الباب الرابع والثمانون في عقوبة علماء الدنيا)

ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال من الأئمة المضلين وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الابد أو لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال عمر رضي الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدري و يدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه ورجل لا يدري و يدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه و رجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله اني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة الا انهم أنكروا بعد المعرفة اذ قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه

الشيطان فكان من الغاوين حتى قال فثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتي كتاب الله تعالى فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أولم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع

﴿الباب الخامس والثمانون فى فضل حسن الخلق﴾

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يارسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يارسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال اتق الله حيث كنت قال زدنى قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدنى قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام أى الاعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هى من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قونى فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يارسول الله أى المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبى سعيد البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم انى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبى صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطى العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجز عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا أنت واصرف عني سيئها الا يصرف عني سيئها الا أنت وقيل فيم التجمل قال في لطف الكلام واظهار البشر والابتسام فمن لقي الناس بالاحسان وعاملهم بالاخلاق الحسان فهو الذي يخف عليهم جانبه ويحمد اخاؤه كما قال

اذا حويت خصال الخير أجمعها * فضلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذي العرش تحرزه * والشكر من خلقه في السر والعلن

(الباب السادس والثمانون في الضحك والبكاء واللباس)

قال بعض المفسرين في قوله تعالى أفمن هذا الحديث أي القرآن تعجبون منه تكذيبا وتضحكون منه استهزاء مع كونه من عند الله تعالى ولا تبكون خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد وأنتم سامدون لاهون غافلون عما يطلب منكم قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الا أن يتبسم وفي لفظ فما روى النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا وعن ابن عمر رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم ثم قال أكثروا ذكر هاذم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فاذا قوم يضحكون فقال أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عظني قال يا موسى اياك واللجاجة ولا تمش بغير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم كثرة الضحك تميت القلب وقال صلى الله عليه وسلم من ضحك لشبابه بكى لهرمه ومن ضحك لغناه بكى لفقره ومن ضحك لحياته بكى لموته وقال صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن الحسن في قوله تعالى فليضحكوا قليلا أي في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة جزاء بما كانوا يكسبون وقال أيضا يا عجبا من ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت ومر رضي الله عنه بشاب يضحك فقال له يا بني هل جزت على الصراط قال لا قال هل تبين لك انك تصير الى الجنة قال لا قال ففيم الضحك فما روى الشاب ضاحكا بعد ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي ومدح الله تعالى أقواما بالبكاء فقال تعالى ويخرون للاذقان يبكون وعن الاوزاعي في قوله تعالى مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثا عين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله تعالى ويقال ثلاثة أشياء تقسي القلب الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام في غير حاجة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان له صلى الله عليه وسلم قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيأ قط كان أحسن

من بياض على سواده وكان صلى الله عليه وسلم اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول مامن مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ماواراه حيا وميتا وكانت له صلى الله عليه وسلم عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره

﴿الباب السابع والثمانون فى فضل القرآن وفضل العلم والعلماء﴾

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر من عظمة الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم مامن شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم العلم وعلمه وقال صلى الله عليه وسلم ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يارسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال أيضا من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء (وأما فضل العلم والعلماء) فالاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذى اذا احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ماجاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ماجاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة أيسر من موت عالم وقال صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة وقال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة أى مبغضا فتهلك وقال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء ومن أمثال الحكماء من طلب العلم للرياسة فقد عدم التوفيق والسياسة قال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال الشافعى رضى الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه جل مقداره ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم الغريب رق طبعه ومن لم يعز نفسه لم ينفعه علمه وقال الحسن بن على رضى الله عنهما من أكثر مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه وفتق مراتق ذهنه وسره ماوجد من الزيادة فى نفسه وكانت له ولاية لما يعلم وافادة لما تعلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا أرذل الله عبدا حظر عليه العلم وقال صلى الله عليه وسلم لا فقر أشد من الجهل

﴿الباب الثامن والثمانون فى فضل الصلاة والزكاة﴾

اعلم ان الله تعالى جعل الزكاة احدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الاعلام فقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله

الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة الحديث وشدد الوعيد على المقصرين فيهما فقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وتقدم الكلام على ذلك مستوفى وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج الزكاة ﴿فائدة﴾ يستحب أن يطلب لصدقته أتقياء الفقراء المعرضين عن الدنيا المجردين لتجارة الآخرة فان ذلك يربو به المال قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي وذلك لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكاله في طاعته باعانتك اياه وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همة أحدهم فلان أرد همة واحد الى الله عز وجل أحب الي من أعطي ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعونه وكان ابن المبارك يخص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل وان يخص ذوي العاهات لا سيما ذوي الارحام والاقارب فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم ما لا يحصى من الاجر كما مر في بابه وان يخرج الصدقة سرا ليسلم من شؤم الرياء ومن اذلال المعطى في الملأ قال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفي غضب الرب وذكر في حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أعطت يمينه نعم ان كان في اظهار الصدقة خير كأن كان يقتدي به غيره فلا بأس ان سلم من الرياء ويجتنب الامتنان كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فآفة المعروف المن بل يؤثر كتمانه ويستعمل نسيانه كما يجب على من صنع له معروف نشره ويتعين عليه شكره كما في الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس وما أحسن قول القائل

يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها كفور أو شكور
ففي شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما كفر الكفور

﴿الباب التاسع والثمانون في بر الوالدين وحقوق الاولاد﴾

لا يخفى انه اذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الارحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقد قال صلى الله عليه وسلم من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحد فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال صلى الله عليه وسلم بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك (ويروى) ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ياموسى انه من بر والديه وعقني

كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا (وقيل) لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له
فأوحى الله اليه أتتعاظم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه
وسلم ما على أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون
له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شئ وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يارسول الله هل بقي علي من بر أبوي شئ أبرهما به بعد
وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي
لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الاب
وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الولد ضعفان وقال صلى الله عليه وسلم دعوة الوالدة أسرع اجابة قيل
يارسول الله ولم ذاك قال هي أرحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يارسول الله من أبر
فقال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق
وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا أعان ولده على بره أي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقال صلى
الله عليه وسلم ساووا بين أولادكم في العطية وقد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو
عدوك أو شريكك وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع
ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة
سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك
وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على
الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم
السابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع
على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك
فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أفسدته ويستحب الرفق بالولد رأى
الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا
منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفه فضرب يدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد
أحسن بنا اذ لم تكن له جارية وتعثر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى
انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاءه
الحسن فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا
قد أطلت السجود يارسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله
حتى يقضي حاجته وفي ذلك فوائد احداها القرب من الله تعالى فان العبد أقرب ما يكون من الله تعالى
اذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته وقال صلى الله عليه وسلم ريح الولد من ريح الجنة
وقال يزيد بن معاوية أرسل أبي الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له يا أبا بحر ما تقول في الولد قال
يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة
فان طلبوا فأعطهم وان غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا
حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت يا أحنف لقد دخلت علي وأنا مملوء غضبا

وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد الى الاحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر

﴿الباب التسعون في حقوق الجوار والاحسان للمساكين﴾

اعلم أن الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه أخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال صلى الله عليه وسلم أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال النبي صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم أول خصمين يوم القيامة جاران وقال عليه السلام اذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته (ويروى) ان رجلا جاء الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار وجاء رجل اليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة والرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود (وروى الزهري) ان رجلا أتى النبي عليه الصلاة والسلام فجعل يشكو جاره فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا ان أربعين دارا جار قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ الى أربع جهات وقال عليه السلام اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه (واعلم) أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الاذى أيضا فان الجار أيضا قد كف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني (وبلغ ابن المقفع) أن جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ماقمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها * وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسي (وجملة حق الجار) أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا مطرح التراب في فنائه ولا يضيق طرقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا

يديم النظر الى خادمته ويتلطف بولده فى كلمته ويرشده الى ما يجهله من أمر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التى لعامة المسلمين وقد قال صلى الله عليه وسلم أتدرون ما حق الجار ان استعان بك أعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك أقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه واذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت الشاة فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول فى هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك وقال أبو ذر رضى الله عنه أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت فى جيرانك فاغرف لهم منها

الباب الحادى والتسعون فى عقوبة شارب الخمر

قد أنزل الله فى الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين شارب وتارك الى أن شرب رجل فدخل فى الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضى الله عنه فأخذ لحى بعير وشج بها رأس عبد الرحمن ابن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان فى يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر الآية فقال عمر رضى الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفقة على تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهانى ربى بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وقوله صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا الا جمعهم الله فى النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر يا فلان لا جزاك الله عنى خيرا فأنت الذى أوردتنى هذا المورد فيقول له الآخر مثل ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الاساود شربة يتساقط منها لحم وجهه فى الاناء قبل أن يشربها فاذا شربها يتساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ألا ان شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء فى اثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فان ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم ألا وان كل مسكر حرام وكل خمر حرام (ذكر ابن أبى الدنيا) انه مر بسكران وهو يبول فى يده ويغسل به يده كهيئة المتوضى ويقول الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له فى الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد فى حرارتك فقال ما أنا بآخذ جهلى بيدى فأدخله فى جوفى ولا أرضى ان أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا أم الخبائث

فانه

فانه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة فأرسلت اليه خادما انا ندعوك لشهادة فدخل فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى اذا أفضى الى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية فيها خمر فقالت انا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام وتقع على أو تشرب كأسا من الخمر فان أبيت صحت بك وفضحتك فلما رأى انه لا بد له من ذلك قال اسقيني كأسا من الخمر فسقته فقال زيديني فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع ايمان وادمان الخمر فى صدر رجل أبدا ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه وروى أحمد وابن حبان فى صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم لما أهبط الى الارض قالت الملائكة أى رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فأهبطا الى الارض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاآها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك قالا والله لا نشرك بالله أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت اليهما ومعها صبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما من شئ أبيتماه على الا فعلتماه حين سكرتما فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا وروى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت اشتكت بنت لى فنبذت لها فى كوز فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلى قال ما هذا يا أم سلمة فذكرت له انى أداوى به ابنتى فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها وروى ان الله تعالى لما حرم الخمر سلب منها المنافع

الباب الثانى والتسعون فى معراج النبى صلى الله عليه وسلم

روى البخارى عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن مالك بن صعصعة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا اذ أتانى آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبى ما يعنى به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوء ايمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح لنا فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا

بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعدبي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد على السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذا ياجبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخترت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال فقلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي

﴿الباب الثالث والتسعون في فضائل الجمعة﴾

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع حرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا

فيه فصر فواعنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتاب لهم تبع وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أتاني جبرائيل عليه السلام في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه اياه أوليس له قسم ذخر له ماهو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة وفي الخبر ان الله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء لا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر

﴿الباب الرابع والتسعون في حق الزوجة على الزوج﴾

حقوق الزوجات على الازواج كثيرة منها حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب بالجنب قيل هي المرأة وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراء أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال عليه السلام من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون (واعلم) أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أتراجعيني يا لكعاء فقالت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابن أبي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروي أنه دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه الصلاة والسلام دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقال

يا عدوة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك ويقال ان أول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وكان يقول لها كنت لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذينني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار اليهم فانصرفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال عليه السلام خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي واذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك (ووصفت) اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما فقد ومنها أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال تعالى وألفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك ان أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي رضي الله عنه ثلاثة ان أكرمتهم

أهانوك وان أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي أراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك

﴿الباب الخامس والتسعون في حق الزوج على الزوجة﴾

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل وكان أبوها في الاسفل فمرض فأرسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول الى أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أطيعي زوجك فمات فاستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها فأضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين الى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أطلعت في النار فاذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يارسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فاذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة رضي الله عنها أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله اني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت أفلا أتزوج قال بلى تزوجي فانه خير وقال ابن عباس أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج قال ان من حق الزوج على الزوجة اذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطي شيأ من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وان خرجت من بيتها بغير اذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته أو تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للتستر ولذلك قال عليه السلام المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت

رابعة بنت اسمعيل أحمد بن أبي الحوارى فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالى همة فى النساء لشغلى بحالى فقالت انى لأشغل بحالى منك ومالى شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجى فأردت أن تنفقه على اخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لى طريقا الى الله عز وجل فقال حتى أستأذن استاذى فرجع الى أبي سليمان الدارانى قال وكان ينهانى عن التزويج ويقول ماتزوج أحد من أصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان فى منزلنا كن من جص ففنى من غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمنى الطيبات وتطيبنى وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه فى أهل الشأم برابعة العدوية بالبصرة * ومن الواجبات عليها أن لا تفرط فى ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها أن تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من الطعام الذى يخاف فساده فان أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وان أطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر (ومن حقها) على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى ان أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنته عند التزويج انك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت الى فراش لا تعرفينه وقرين لن تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له أمة يكن لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك ان دنا منك فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى * ويأباك قلبى والقلوب تقلب
فانى رأيت الحب فى القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

﴿الباب السادس والتسعون فى فضل الجهاد﴾

قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالى ان لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد أفضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لو نعلم أى الاعمال أفضل وأحب الى الله عز وجل عملناه فأنزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الى آخرها فتلاها علينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان رجلا قال يارسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال مر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فاقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله تعالى من قاتل في سبيل الله تعالى فواق ناقة وجبت له الجنة فاذا كان الصحابي الجليل لم يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في العزلة مع اجتهاده في الطاعات وتعاطيه من الطيبات بل أرشده صلى الله عليه وسلم الى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعاتنا وكثرة سيآتنا وتعاطينا ما جهل حله من الاقوات وفساد العزائم والنيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدري فقال أعدها علي يارسول الله فأعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يارسول الله قال الجهاد في سبيل الله

الباب السابع والتسعون في مكر الشيطان

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا الاخلاص للمؤمن منه نعم له له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذلك قال تذيبني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها لأن الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يهتدي به الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة * قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا أن يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها

فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى فى قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى خنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برىء منك فهو الذى قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك وروى ان ابليس سأل الامام الشافعى رضى الله عنه ماقولك فيمن خلقنى كما اختار واستعملنى فيما اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلنى الجنة وان شاء أدخلنى النار أعدل فى ذلك أم جار فنظر فى كلامه ثم قال ياهذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فاضمحل الى أن صار لاشىء ثم قال والله ياشافعى لقد أخرجت بمسئلتى هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية الى ديوان الزندقة وروى أيضا أن ابليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم عليهما السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك أى لان له تلبيسات فى الخير كما أن له تلبيسات فى الشر تتناهى وبها يهلك العباد والزهاد والأغنياء وأصناف الخلق الا من حفظه الله اللهم احفظنا من مكايده حتى نلقاك مهتدين

(الباب الثامن والتسعون فى بيان السماع)

حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بها على انهم رأوا تحريمه وقال الشافعى رحمه الله فى كتاب آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضى أبو الطيب استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لايجوز عند أصحاب الشافعى رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعى رضى الله عنه صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعى رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشىء من الملاهى ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل مايلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده وأما أبو حنيفة رضى الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثورى وحماد وابراهيم والشعبى وغيرهم فهذا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى ونقل أبو طالب المكى اباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الايام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يستمعون فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازه

وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا أن يكون فيها سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر ابن داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدي أحمد بن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه قال أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العسقلاني الاسود من الاولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه الا أقدام العلماء وحكى عن ممشاد الدينوري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيأ فقال ما أنكر منه شيأ ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن وحكى عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه واذا أبو بكر يقول شيأ من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لا يأكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم لا يتحاورون الا في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له أيؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيآتك فقال لا في الحسنات ولا في السيآت لانه شبيه باللغو وقال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق في التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا الى بعض الاقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة

الباب السابع والتسعون في النهي عن البدعة واتباع الهوى

قال صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في

النار وقال صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمر ديننا هذا ما ليس منه فهو رد وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي فعلم من هذه الاحاديث ان كل ما خالف الكتاب والسنة واجماع الائمة فهو بدعة مردودة وقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقال قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية اعلموا ان السبيل سبيل واحد جماعه الهدى ومصيره الجنة وان ابليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها الى النار وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ثم قرأ هذه الآية وعن ابن عباس هذه السبل الضلالات وقال بن عطية هذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الاهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد وقال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة الا أضاعت مثلها من السنة وقال صلى الله عليه وسلم ما تحت ظل السماء من اله يعبد أعظم عند الله من هوى يتبع وقال صلى الله عليه وسلم أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة انما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى اياكم والمحدثات فان كل محدثة ضلالة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت شرته الى سنتي فقد اهتدى ومن كانت شرته الى غير ذلك فقد هلك اني أخاف على أمتي من ثلاث من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر رواه الترمذي وحسنه في مواضع وصححه في أخرى والشرة بكسر الشين وفتح الراء مشددة النشاط والهمة

(فصل في النهي عن آلة اللهو) روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه من لعب بنرد أو نرد شير فكانما غمس يده في لحم خنزير ودمه وروى أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم يصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي أي فلا تقبل له صلاة كما صرحت به رواية أخرى وأخرج البيهقي عن يحيى بن كثير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يلعبون بالنرد فقال قلوب لاهية وأيد عاملة وألسنة لاغية وأخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الازلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه أي وما شابه ذلك من كل لهو محرم فلا تسلموا عليهم وان سلموا عليكم فلا تردوا عليهم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من الميسر القمار والضرب بالكعاب والصفير بالحمام ومر علي رضي الله عنه بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لان يمس أحدكم جمرا حتى يطفأ خير له من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتم وقال أيضا رضي الله عنه صاحب الشطرنج أكثر الناس كذبا يقول أحدهم قتلت وما قتل ومات وما مات وقال أبو موسى

الاشعرى رضى الله عنه لا يلعب بالشطرنج الاخاطئ واعلم ان الملاهى اما حرام كعود وطنبور ومعزفة وطبل ومزمار وما ألهى بصوت مطرب اذا انفرد أو مكروه وهو ما يزيد به الغناء طربا ولم يطرب منفردا كالصنج والقصب فيكره مع الغناء لا وحده أو مباح وهو ما خرج عن آلة الطرب الى انذار كالبوق وطبل الحرب أو الجمعة واعلان كالدف فى النكاح

﴿الباب المتمم للمائة فى فضائل رجب﴾

رجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم ويقال له الاصب لان الرحمة تصب فيه على التائبين وتفيض أنوار القبول على العاملين ويقال له الاصم لانه لم يسمع فيه حس قتال وقيل رجب اسم نهر فى الجنة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه الا من صام شهر رجب قال صلى الله عليه وسلم رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى وقال أهل الاشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وجنايته والباء بر الله كان الله تعالى يقول أجعل جرم عبدى بين رحمتى وبرى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم من صام السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا وهو أول يوم نزل فيه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة وفيه أسرى به صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ألا ان رجبا شهر الله الاصم فمن صام من رجب يوما ايمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الاكبر قيل زين الله الشهور بأربعة ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب فذلك قوله تعالى منها أربعة حرم فالاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد وهو شهر رجب وحكى ان امرأة فى بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثنى عشرة ألف مرة وكانت تلبس الصوف فى شهر رجب فمرضت وأوصت ابنها ان يدفن معها صوفها فلما ماتت كفنها فى ثياب مرتفعة فرآها فى منامه تقول له أنا عنك غير راضية لانك لم تعمل بوصيتى فانتبه فزعا وأخذ صوفها ليدفنه معها فنبش قبرها فلم يجدها فيه فتحير فسمع نداء أما علمت ان من أطاعنا فى رجب لا نتركه فردا وحيدا وروى اذا كان ثلث الليل من أول جمعة من رجب لا يبقى ملك الا ويستغفر لصوام رجب وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من شهر حرام كتب له ثواب عبادة تسعمائة سنة قال أنس رضى الله عنه صمت اذناى ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (لطيفة) الاشهر الحرم أربعة وخيار الملائكة أربعة وأفضل الكتب المنزلة أربعة وأعضاء الوضوء أربعة وأفضل التسبيح كلمات أربعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وعمادا الحساب أربعة آحاد وعشرات ومئات وألوف والاوقات أربعة الساعة واليوم والشهر والسنة وفصول السنة أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والطبائع أربعة حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة وسلطان البدن أربعة صفراء وسوداء ودم وبلغم والخلفاء الراشدون أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين (روى الديلمى) عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسح الله الخير أربع ليال سحا ليلة الاضحى وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وروى الديلمى أيضا بسنده عن أبى امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس ليال لا ترد فيهن دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين

﴿الباب الحادى بعد المائة فى فضل شعبان المبارك﴾

سمي شعبان لانه يتشعب منه خير كثير مشتق من الشعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخير روى عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا دخل شعبان فطهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر و يفطر حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه في شعبان وفي النسائي من حديث اسامة رضي الله عنه قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذالك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال لرب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياما من شعبان وفي رواية كان يصوم شعبان كله ولمسلم كان يصوم شعبان الا قليلا فهذه الرواية مفسرة للاولى فالمراد بكله أغلبه قيل ان للملائكة في السماء ليلتي عيد كما ان للمسلمين في الارض يومي عيد فعيد الملائكة ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد المؤمنين يوم الفطر و يوم الاضحى فلذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة وذكر السبكي في تفسيره انها تكفر ذنوب السنة وليلة الجمعة تكفر ذنوب الاسبوع وليلة القدر تكفر ذنوب العمر أي احياء هذه الليالي سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكفير أيضا لذالك وليلة الحياة لما روى المنذري مرفوعا من أحيا ليلتي العيد وليلة نصف شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة في أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الثالث عشر فأعطاه الثلثين وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع الا من شرد على الله شراد البعير يعني من فر من الله وتباعد عنه بالاصرار على المعصية وتسمى ليلة المغفرة أيضا لما روى الامام أحمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليطلع ليلة النصف من شعبان الى عباده فيغفر لاهل الارض الا رجلين مشرك أو مشاحن وتسمى ليلة العتق لما روى ابن اسحق عن أنس بن مالك قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزل عائشة رضي الله عنها في حاجة فقلت لها اسرعي فاني تركت النبي صلى الله عليه وسلم يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنيس اجلس حتى أحدثك بحديث ليلة النصف من شعبان تلك الليلة كانت ليلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ودخل معي في لحافي فانتبهت من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب الى جاريته القبطية فخرجت فمررت في المسجد فوقعت رجلي عليه وهو يقول سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي وهذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيما يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه فقال اللهم ارزقني قلبا تقيا نقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ثم عاد ساجدا فسمعته يقول أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أقول كما قال أخي داود أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق لوجه سيدي أن يعفر ثم رفع رأسه فقلت بأبي أنت وأمي أنت في واد وأنا في واد فقال يا حميراء أما تعلمين ان هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل في هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب الا ستة نفر لا مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا مصر على زنا ولا مصارم ولا مضرب ولا قتات وفي رواية مصور بدل مضرب وتسمى ليلة القسمة والتقدير لما روى عطاء بن يسار اذا كانت ليلة النصف من شعبان نسخ لملك الموت كل من يموت من شعبان الى شعبان وان العبد ليغرس الغرس و ينكح الازواج و يبني البنيان وان اسمه قد نسخ في

الموتى وما ينتظر به ملك الموت الا أن يؤمر به فيقبضه

﴿الباب الثاني بعد المائة في فضل رمضان المعظم﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم عن سعيد ابن جبير رضي الله عنه كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الاسلام وقال جماعة من أهل العلم كان واجبا على النصارى فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم وبعض معايشهم فاجتمع رأى كبرائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا ثم ان ملكا لهم اشتكى فجعل لله عليه ان برئ من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعا فبرئ فزاد فيه أسبوعا فلما مات ذلك وليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما ثم أصابهم موتان وهو موت البهائم فقال زيدوا صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد وقيل ما من أمة الا وفرض عليهم صيام رمضان الا أنهم ضلوا عنه قال البغوي والصحيح ان رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهي الحجارة المحماة لانهم كانوا يصومون في الحر الشديد لان العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق ان الشهر المذكور كان في شدة الحر وقيل سمي بذلك لانه يرمض الذنوب أي يحرقها وفرض في السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحد وجوبه وورد في فضله أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها فلم يغلق منها باب في الشهر كله وأمر الله تعالى مناديا ينادي يا طالب الخير أقبل و يا باغي الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى سؤله هل من تائب فيتاب عليه فلم يزل كذلك الى انفجار الصبح ولله كل ليلة عند الفطر ألف ألف عتيق من النار قد استوجبوا العذاب وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد فيه في رزق المؤمن من فطر فيه صائما كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم قال يعطي الله هذا الثواب من يفطر صائما على مذقة لبن أو شربة ماء أو تمرة ومن أشبع صائما كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبدا وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا اله الا الله وتستغفرونه وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتتعوذون به من النار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وناهيك بعبادة أضافها البارئ تبارك وتعالى لنفسه ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت أمتي خمس خصال في شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلها خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا وتصفد فيه مردة الشياطين ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادي الصالحون ان يكف عنهم السوء والاذى

ويغفر لهم في آخر ليلة منه قيل يارسول الله أهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل يوفى أجره اذا قضى عمله

﴿الباب الثالث بعد المائة في فضل ليلة القدر﴾

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يارب جعلت أمتي أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خيرا من ألف شهر مدة حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله وله ولامته الى يوم القيامة فهي من خصائص هذه الامة ويقال اسم ذلك الرجل شمعون غزا العدو ألف شهر لم يجف لبد فرسه وقهر الكفار لما أعطى من القوة والجسارة فضاقت قلوبهم منه فبعثوا رسولا الى امرأته وضمنوا لها طستا من ذهب مملوأ ذهبا ان هي قيدته حتى يحبسوه في بيتهم ويستريحوا منه فلما نام بالليل أوثقته بحبل من ليف فلما انتبه حرك أعضاءه فقطع الحبل قطعا وسألها لم صنعت ذلك فقالت أجرب قوتك فلما أخبر الكفار بذلك بعثوا لها سلسلة ففعلت مثل ما فعلت فقطعها فجاء ابليس الى الكفار وأرشدهم الى أن تسأل المرأة زوجها أي شئ لا تقوى على فكه وقطعه فأرسلوا اليها فسألته فقال ذوائبي وكان له ثمانية ذوائب طويلة تجر على الارض فلما نام قيدت رجليه بأربعة ويديه بأربعة فجاء الكفار وأخذوه وذهبوا به الى بيت مذبحهم مقدار أربعمائة ذراع علوه ومع اتساعه له عمود واحد فقطعوا أذنيه وشفتيه وكانوا كلهم مجتمعين لديه فسأل الله تعالى ان يقويه على فك وثاقه وعلى ان يحرك العمود ويهدمه عليهم مع نجاته منهم فقواه الله فتحرك فانفك وثاقه وحرك العمود فوقع عليهم السقف فأهلكهم الله جميعا ونجا منهم فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخبر وقالوا يارسول الله هل ندرك نحن ثوابه فقال لا ادري ثم سأل ربه فأعطاه كما تقدم ليلة القدر وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى قال أبو هريرة رضي الله عنه الملائكة تنزل ليلة القدر في الارض أكثر من عدد الحصى فتفتح أبواب السما للتنزل كما ورد فتسطع الانوار ويحصل تجل عظيم وينكشف فيها الملكوت والناس في ذلك متفاوتون فمنهم من يكشف له عن ملكوت السموات والارض فيكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة على صورها ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وذاكر وشاكر ومسبح ومهلل ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من دورها وقصورها وحورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو سقفها ويشاهد منازل الانبياء والاولياء والشهداء والصديقين ويهيم في هذا الملكوت ويتنزه في ذلك الرحموت ويشاهد جهنم ويشاهد دركاتها ومنازل الكفار الى غير ذلك ومنهم من تنكشف حجبه عن جمال الله فلا يشهد الا اياه وعن عمر عنه عليه الصلاة والسلام من أحيا ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان الى الصبح فهو أحب الي من قيام ليالي شهر رمضان كلها فقالت فاطمة يا أبت ما يصنع الضعفاء من الرجال والنساء ممن لا يقدرون على القيام قال لا يضعون الوسائد فيتكئون عليها ويقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعون الله عز وجل الا كان ذلك أحب الي من قيام أمتي جميع شهر رمضان وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين واستغفر فيها غفر الله له وخاض في رحمة الله ومسحه جبريل بجناحه ومن مسحه جبريل بجناحه دخل الجنة

(الباب

﴿الباب الرابع بعد المائة فى فضل العيد﴾

سمى هذا اليوم الذى هو أول شوال واليوم الذى هو العاشر من ذى الحجة عيدا لان المؤمنين عادوا فيهما من طاعة الله تعالى التى هى أداء فريضتى صيام رمضان والحج الى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم التى هى صيام ست من شوال والتأهب لزيارته صلى الله عليه وسلم ولتكرر ذلك كل عام ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالاحسان ولعود السرور بعوده وأول عيد صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الفطر فى السنة الثانية من الهجرة ولم يتركها فهى سنة مؤكدة وعن أبى هريرة رضى الله عنه زينوا أعيادكم بالتكبير وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده يوم العيد ثلثمائة مرة وأهداها الاموات المسلمين دخل فى كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى فى قبره اذا مات ألف نور وعن وهب بن منبه رضى الله عنه ان ابليس يرن فى كل عيد فتجتمع اليه الابالسة فيقولون ياسيدنا مم غضبك فيقول ان الله تعالى قد غفر لامة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللذات والشهوات وعن وهب أيضا ان الله تعالى خلق الجنة يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوبى يوم عيد الفطر واصطفى جبريل للوحى يوم عيد الفطر وتاب على سحرة فرعون يوم عيد الفطر وقال النبى صلى الله عليه وسلم من قام ليلة العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب (حكى) ان عمر رأى ولداله يوم عيد وعليه قميص خلق فبكى فقال ما يبكيك فقال له يا بنى أخشى ان ينكسر قلبك فى يوم العيد اذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق فقال انما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أوعق أمه وأباه وانى لارجو أن يكون الله راضيا عنى برضاك بكى عمر وضمه اليه ودعا له رضى الله عنهما وما أحسن قول القائل

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه * قلت خلعة ساق عبده الجرعا
فقر وصبر ثوبان بينهما * قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
العيد لى مأتم ان غبت ياأملى * والعيد ان كنت لى مرأى ومستمعا

وورد اذا كان غداة عيد الفطر بعث الله الملائكة فيهبطون الى الارض ويقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله الا الجن والانس يقولون ياأمة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطى العطاء الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم قال الله للملائكة ما جزاء الاجير اذا عمل فيقولون جزاؤه ان يوفى أجره فيقول سبحانه أشهدكم انى قد جعلت ثوابهم رضائى ومغفرتى

﴿الباب الخامس بعد المائة فى فضل عشر ذى الحجة﴾

روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن أيام العمل فيها أحب الى الله من هذه الايام يعنى أيام العشر قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أيام أحب الى الله وأفضل من أيام العشر قيل ولا مثلهن فى سبيل الله قال ولا مثلهن فى سبيل الله الا رجل عفر جواده وعفر وجهه فى سبيل الله وعن عائشة رضى الله عنها ان شابا كان صاحب سماع وكان اذا أهل هلال ذى الحجة أصبح صائما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال ما يحملك على صيام هذه الايام قال بأبى أنت وأمى يارسول الله انها أيام المشاعر وأيام الحج عسى الله ان يشركنى فى دعائهم قال فان لك بكل يوم تصومه عدل مائة رقبة ومائة بدنة ومائة فرس يحمل عليها فى سبيل الله فاذا

كان يوم التروية فلك فيها عدل ألف رقبة وألف بدنة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله فاذا كان يوم عرفة فلك فيها عدل ألفي رقبة وألفي بدنة وألفي فرس تحمل عليها في سبيل الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يعدل صوم يوم عرفة بصوم سنتين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة وقال أهل التفسير في قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر الآية انها العشر الاول من ذي الحجة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة ومن النساء أربعة وأربعة يسبقون الى الجنة وأربعة اشتاقت اليهم الجنة أما الايام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيأ من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه وثانيها يوم عرفة فاذا كان يوم عرفة يباهي الله تعالى ملائكته فيقول ياملائكتي أنظروا الى عبادي جاؤا شعثا غبرا قد أنفقوا الاموال وأتعبوا الابدان اشهدوا اني غفرت لهم وثالثها يوم النحر فاذا كان يوم النحر وقرب العبد قربانه فأول قطرة قطرت من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد ورابعها يوم الفطر فاذا صاموا شهر رمضان وخرجوا الى عيدهم يقول الله تبارك وتعالى للائكته ان كل عامل يطلب أجره وعبادي صاموا شهرهم وخرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم أشهدكم اني قد غفرت لهم وينادي المنادي ياأمة محمد ارجعوا فقد بدلت سيآتكم حسنات وأما الشهور فرجب الفرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وأما النساء فمريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد السابقة نساء العالمين الى الايمان بالله ورسوله وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد سيدة نساء الجنة وأما السابقون فلكل قوم سابق فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وأما الاربعة الذين اشتاقت لهم الجنة فعلي بن أبي طالب وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وعنه صلى الله عليه وسلم من صام يوم التروية أعطاه الله ثواب صبر أيوب عليه السلام على بلائه ومن صام يوم عرفة أعطاه الله ثوابا مثل ثواب عيسى عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة نشر الله رحمته فليس من يوم أكثر عتقا منه ومن سأل الله تعالى في يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاها له وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلة والحكمة في ذلك والله أعلم انه بين عيدين وهما يوما سرور للمؤمنين ولا سرور أعظم من غفران ذنوبهم ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة ولانه لموسى عليه السلام ويوم عرفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وكرامته تتضاعف على غيره صلى الله عليه وسلم

الباب السادس بعد المائة في فضل عاشوراء

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا ان هذا اليوم أظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيما له فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه وقد ورد في فضل يوم عاشوراء آثار كثيرة منها انه تيب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه أدخل الجنة وفيه خلق العرش والكرسي والسموات والارض والشمس والقمر والنجوم والجنة وولد ابراهيم الخليل فيه وكانت نجاته من النار فيه وكذلك نجاة موسى ومن معه وأغرق فرعون ومن معه فيه وفيه ولد عيسى وفيه رفع الى السماء وفيه رفع ادريس مكانا عليا وفيها استوت سفينة نوح على الجودي وأعطي فيه سليمان الملك العظيم وأخرج يونس من بطن الحوت ورد بصر يعقوب عليه وأخرج يوسف من الجب وكشف ضر أيوب

وأول مطر نزل من السماء الى الارض كان يوم عاشوراء وكان صومه معروفا بين الأمم حتى قيل بأنه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصامه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ولما دخل المدينة أكد طلبه حتى قال صلى الله عليه وسلم في آخر عمره الشريف ان عشت الى قابل لأصومن التاسع والعاشر فانتقل الى الرفيق الاعلى من عامه ولم يصم غير العاشر لكنه رغب فيه وفي صوم التاسع والحادي عشر بقوله صلى الله عليه وسلم صوموا قبله يوما وبعده يوما وخالفوا سنة اليهود أي حيث أفردوه بالصوم و روى البيهقي في شعب الايمان من وسع على عياله وأهله في يوم عاشوراء وسع الله عليه في سائر سنته وفي رواية منكرة للطبراني الصدقة فيه بدرهم بسبعمائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل فيه لم يمرض فموضوع وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة وقال ابن القيم حديث الاكتحال وطبخ الحبوب والادهان والتطييب يوم عاشوراء من وضع الكذابين (واعلم) انما أصيب به الحسين رضي الله تعالى عنه يوم عاشوراء انما هو الشهادة الدالة على مزيد رفعته ودرجته عند الله والحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه فلا ينبغي ان يشتغل الا بالاسترجاع امتثالا للامر واحرازا لما رتبه تعالى عليه بقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وإياه ثم إياه ان يشتغل ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن اذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين والا لكان يوم وفاة جده صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وأحرى وحسبنا الله تعالى وحده ونعم الوكيل

﴿الباب السابع بعد المائة في فضل ضيافة الفقراء﴾

قال صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال صلى الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيأ من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا أسلفه الا برهن فأخبرته فقال والله اني لامين في السماء أمين في الارض ولو أسلفني لاديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى وما أحسن قول القائل

لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندي ويشكرني عليه

ومن كلام الحكماء لا تتم الصنيعة الا بطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء وقال آخر

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف في كثرة القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

فينبغي للداعي أن يعمد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم أ كل طعامك الابرار في دعائه لبعض من دعاله وقال صلى الله عليه وسلم لا تأ كل الا طعام تقي ولا يأ كل طعامك الا تقي ويقصد الفقراء دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون الفقراء وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه فان في تخصيص البعض ايحاشا لقلوب الباقين وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الاجابة واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي أن لا يدعو الا من يحب اجابته قال سفيان من دعا أحدا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان أجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الا كل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأ كله واطعام التقي اعانة على الطاعة واطعام الفاسق تقوية على الفسق وقال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أ كون من أعوان الظلمة قال لا انما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة أما أنت فمن الظلمة نفسهم وأما الاجابة فهي سنة مؤ كدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لأجبت ولو أهدي الي ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب مذ كورة في احياء علوم الدين وغيره

(الباب الثامن بعد المائة في الكلام على الجنازة والقبر)

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه له وتذ كير لا لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم أبدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسابهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله في غد أو بعد غد ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وقال أسيد بن حضير ماشهدت جنازة فحدثتني نفسي بشئ سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى أعلم الى ماذا صرت اليه ولا أعلم مادمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا وأ كثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الا ماشاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان أحسن أحوال

الحاضرين

الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا البكوا على أنفسهم لا على الميت * نظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن * وقال أبو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشأ يقول

تروعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آدابه وسننه في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة خطرة لا تدرى حقيقتها ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا * ويحكى أن رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها أحد الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظرى هل تعرفين منه شيأ من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان اذا أفاق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني انه كان أبدا لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره قال الضحاك قال رجل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور * وقيل لعلى كرم الله وجهه ما شأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران انى أجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة * وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب الى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لي وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع في قبرى

﴿الباب التاسع بعد المائة فى التخويف من عذاب جهنم﴾

أخرج البخارى كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأبو يعلى أنه صلى الله عليه وسلم خطب فقال لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جانبى لحيته ثم قال والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم على الصعيد ولحثيتم على رؤسكم التراب والطبرانى فى الاوسط جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل مالى أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لى النار أو انعت لى جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يضىء شررها ولا يطفأ لهبها والذى بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من فى الارض كلهم جميعا من حره والذى بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من فى الارض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهى الى الارض السفلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبى يا جبريل لا ينصدع قلبى فأموت قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكى فقال تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به فقال ومالى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به ابليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا أن يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الانصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله عز وجل فنودى يا محمد لا تقنط عبادى انما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وابن ماجه والحاكم وصححه ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين لما انتفعتم بها وانها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها والبيهقى ان عمر رضى الله عنه قرأ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب قال يا كعب أخبرنى بتفسيرها فان صدقت صدقتك وان كذبت رددت عليك فقال ان جلد ابن آدم يحرق ويجدد فى ساعة أو فى يوم ستة آلاف مرة قال صدقت والبيهقى ان الحسن البصرى قال فى الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ومسلم يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط وروى ابن ماجه يرسل

البكاء

البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وأبو يعلى يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل يعنى الدم فتقرح العيون

﴿الباب العاشر بعد المائة فى الميزان والصراط﴾

أخرج أبو داود عن الحسن عن عائشة انها بكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهرانى جهنم حتى يعلم أيجوز أم لا والترمذى عن أنس رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة قال أنا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبنى على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبنى عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فانى لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن * وروى الحاكم يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزنت أو وضعت فيه السموات والارض لوضعت فتقول الملائكة يا رب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقى فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد الموسى فتقول الملائكة من يجوز على هذا فيقول من شئت من خلقى فيقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يختطف بها فممسك يهوى فيها ومصروع ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجرى الفرس ثم كسعى الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشى الرجل ثم يكون آخرهم انسانا رجل قد لوحته النار ولقى فيها شرا ثم يدخله الله الجنة بفضله وكرمه ورحمته فيقال له تمن وسل فيقول أى رب أتهزأ منى وأنت رب العزة فيقال له تمن وسل حتى انقطعت به الامانى قال لك ما سألت ومثله معه وروى مسلم أن أم مبشر الانصارية رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضى الله عنها لا يدخل النار ان شاء الله تعالى احد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة رضى الله عنها وان منكم الا واردها فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى أحمد أن جماعة اختلفوا فى الورود فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجى الله الذين اتقوا فسأل بعضهم جابر بن عبد الله رضى الله عنه فقال تردونها جميعا ثم أهوى بأصبعيه الى أذنيه وقال صمتا ان لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى أن للنار أو قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى الحاكم يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم أولهم كلمع البرق ثم كلمع الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب فى رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه

(الباب الحادى عشر بعد المائة فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم)

قال ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها
حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حيا كم الله آوا كم الله نصركم
الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقد
دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكاس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم
وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه
السلام عند موته من لأمتي بعدي فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته وبشره
بانه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى يدخلها
أمته فقال الآن قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله
بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل أحد ودعا لهم
وأوصى بالانصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي
هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي أويت اليها فأكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم
قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن انه يريد
نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب أبي
بكر فاني لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر قالت عائشة رضي الله عنها فقبض صلى الله
عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي أخي
عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أي نعم
فناولته اياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء
فجعل يدخل فيها يده ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى
فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الانصار أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه
بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثله فمد
يده وقال هافتناولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي
صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه
ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب
الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغني أنكم تخافون علي الموت كأنه استنكار
منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنعى اليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد
فيكم ألا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني أوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصي المهاجرين
فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الى آخرها وان الامور تجري
باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله
غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم
بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم
يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل
من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا وان

موعدكم

موعد كم الحوض حوضي أعرض مما بين بصرى الشأم وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله أوص بقريش فقال انما أوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من أهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان أول من يصلي على الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلي على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني الى من بعدي وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينما نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستأذن على فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري فجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فأعاد رأسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك الا باذن فان لم تأذن لي أرجع وان أذنت لي دخلت وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك فقلت اكفف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيأ وما يتكلم أحد من أهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمتك فقال أجدني وجعا فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن

عليه أبدا ألا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء وأذن للنساء فقال يا فاطمة
ادني فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدني مني رأسك
فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها عجبا فسألناها
بعد ذلك فقالت أخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله أن يلحقك بي في أول أهلي
وأن يجعلك معي فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال
الملك ما تأمرنا يا محمد قال ألحقني بربي الآن فقال بلى من يومك هذا أما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن
أحد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحد الا باذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء
جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الارض أبدا طوى الوحي وطويت الدنيا
وما كان لي في الارض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي لا والذي بعث محمدا بالحق
ما في البيت أحد يستطيع أن يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى أحد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه
ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره
وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت أسلت ذلك العرق وما
وجدت رائحة شيء أطيب منه فكنت أقول له اذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتك من
الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك
ارتعنا وبعثنا الى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثه الى أبي فمات رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل أن يجيء أحد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا أغمي عليه قال بل
الرفيق الاعلى كأن الخيرة تعاد عليه فاذا أطلق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين
ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضي الله
عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضي
الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم يوم أصيب علي
كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي
وفيه قتل أبي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب
بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون
معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس
ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وان
كان الناس لم يرعووا الا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم
تختصمون وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنظر اليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد
والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ وفي رواية ان أبا

بكر

بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون فأما مالا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا وليكن هذا ما أقدرنا الله عليه وجذب قلوبنا اليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسنة ونرجو من الله أن يبدل السيئة بالحسنة وأن يلحقنا بنبينا صلى الله عليه وسلم على الايمان انه أكرم مسؤل وأعز مأمول والحمد لله رب العالمين

الحمد لله علام الغيوب والصلاة والسلام على سيد كل محبوب وعلى جميع الآل والأصحاب وعلى كل من لب دعوته وأجاب ﴿اما بعد﴾ فقد تم طبع هذا الكتاب المسمى بمكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب بالمطبعة البهية ادارة الحضرة العثمانية الكائنة بحارة الفراخة بخط باب الشعرية بهمة مديرها ومنشيها ذي الرأي الصائب الفائق جناب الشيخ عثمان عبد الرازق كان الله معه وبلغه ما أمله وكان الفراغ من طبعه أول شهر ربيع الاول من عام ألف وثلثمائة وستة بعد الالف من هجرة من خلق على أكمل حال وأعلى وصف صلى الله عليه وسلم آمين